

النبى و البروليتاريا

كريس هارمان

كراسات اشتراكية

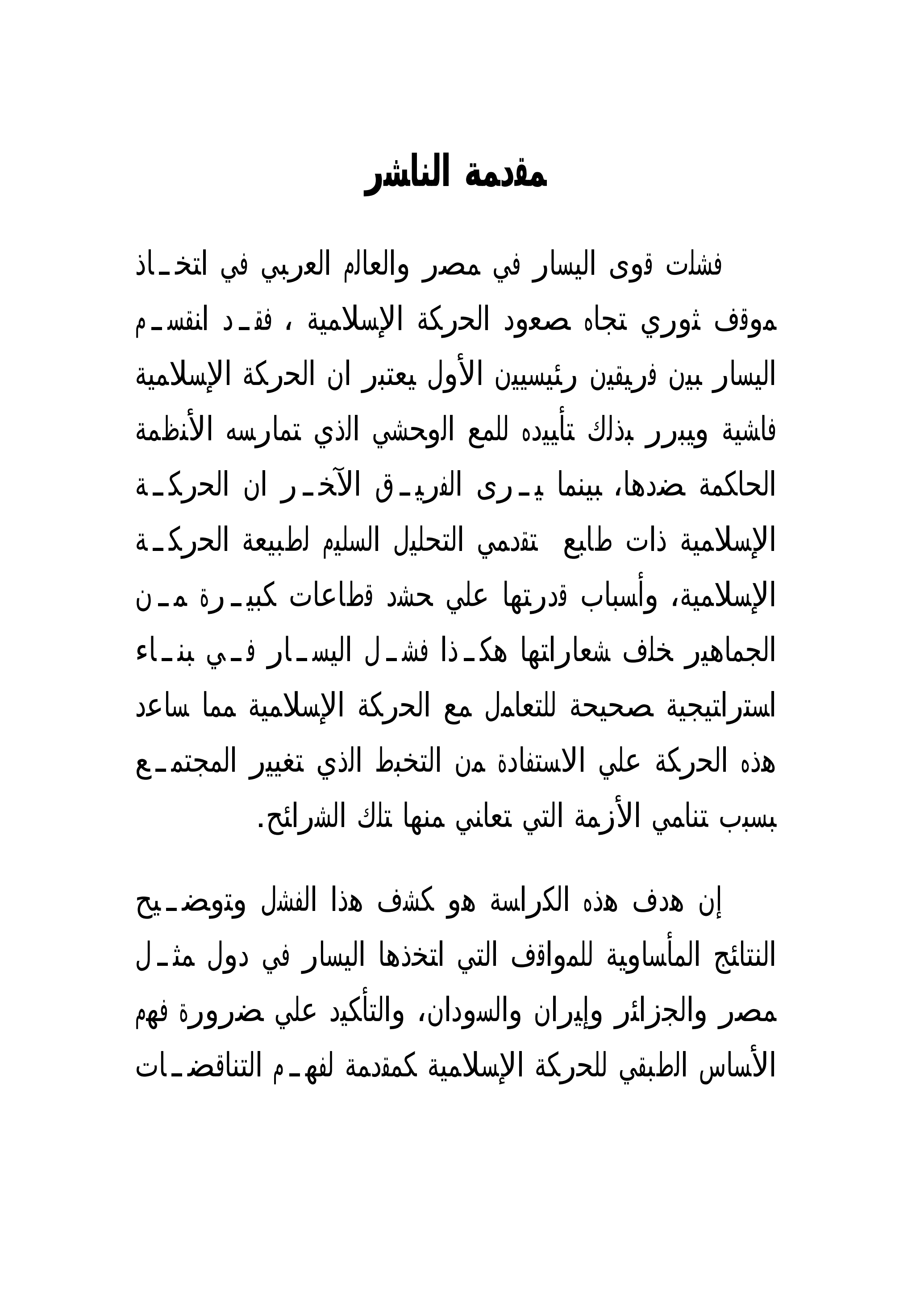
النبى و البروليتاريا

كريس هارمن

ترجمة

مركز الدراسات الاشتراكية

فهرس



مقدمة الناشر

فشلت قوى اليسار في مصر والعالم العربي في اتخـاذ موقف ثوري تجاه صعود الحركة الإسلامية ، فقـد انقسـم اليسار بين فريقين رئيسيين الأول يعتبر ان الحركة الإسلامية فاشية ويبرر بذلك تأييده للمع الوحشي الذي تمارسه الأنظمة الحاكمة ضدها، بينما يـرى الفريـق الآخـر ان الحركـة الإسلامية ذات طابع تقدمي التحليل السليم لطبيعة الحركـة الإسلامية، وأسباب قدرتها علي حشد قطاعات كبيـرة مـن الجماهير خاف شعاراتها هكـذا فشـل اليسـار فـي بنـاء استراتيجية صحيحة للتعامل مع الحركة الإسلامية مما ساعد هذه الحركة علي الاستفادة من التخبط الذي تغيير المجتمـع بسبب تنامي الأزمة التي تعاني منها تلك الشرائح.

إن هدف هذه الكراسة هو كشف هذا الفشل وتوضـيح النتائج المأساوية للمواقف التي اتخذها اليسار في دول مثـل مصر والجزائر وإيران والسودان، والتأكيد علي ضرورة فهم الأساس الطبقي للحركة الإسلامية كمقدمة لفهـم التناقضـات

التي تظهر بوضوح داخل الحركة بشقيها المعتدل والمتطرف وبالتال يتحديد الموقف الماركسي الثوري المستقل تجاهها.

لقد أصبح من الضروري الآن بناء استراتيجية ماركسية ثورية تكون قادرة علي نقـد وكشـف طوباويـة ورجعيـة المشروع الإسلامي لتغيير المجتمع، وطرح مشروع ثـوري آخر، للمشروع الاشتراكي الثوري. وأهم شرط فـي وضـع هذه الاستراتيجية هو الاستقلال وعـدم الخضـوع لرؤيـة الطبقات الحاكمة وموقفها من الحركة الإسلامية، وأيضا عدم التهويل من إمكانيات الحركة الإسلامية مما قد يـؤدي الـي تذيلها وليكن شعار هذه الاستراتيجية هو:

أحيانا مع الإسلاميين دائما ضد الدولة.

تسيطر الحركات الإسلامية علي العالم السياسـي فـي الشرق الأوسط وما وراءه منذ الثورة الإيرانية عـام ١٩٧٩ علي الأقل، وهذه الحركات بأسمائها المتعددة في الغرب مثل " الأصولية الإسلامية و الإسلامية و " التوحيدية" و الإسلام السياسي، و الصحوة الإسلامية تطالب بإحياء المجتمع مـن خلال العودة إلى التعاليم الأولى للرسول محمد. وقد أصبحت قوة رئيسية في إيران والسودان (حيث ما زالت تسيطر علي السلطة) ومصر والجزائر وطاجيكستان (حيث تشتبك فـي صراع مسلح مرير ضد الدولة) وأفغانستان(حيـث يشـتعل القتال ما بين الحركات الإسلامية المتصارعة منـذ انهيـار الحكومة المؤيدة للروس) وفي الضفة الغربية المحتلـة فـي الأردن (حيث تتحدى بكفاحيتها السيطرة القديمـة لمنظمـة التحرير الفلسطينية علي المقاومة الفلسطينية)، وفي باكستان (حيث تشكل جزءا كبيرا من المعارضة) وحديثا في تركيا (حيث يسيطر حزب الرفاه علي اسطنبول وأنقرة ومقاطعـات كثيرة أخرى).

وقد كان صعود هذه الحركات صدمة هائلة للأنتليجينسيا الليبرالية وأحدث موجة من الفزع بين هؤلاء الذين اعتقـدوا أن " التحديث"، الذي جاء بعد الانتصار الكامل للصـراعات المعادية للاستعمار في الخمسينيات والستينات، سيؤدي حتما الي مجتمعات أكثر استنارة وأقل قهرا[1]. وعلي العكس مـن ذلك يرون صعود قوي تبدو أنها تتطلع الـي الـوراء الـي مجتمعات أكثر انغلاقا وتدفع النساء الي الحجاب ، وتستخدم الإرهاب لتحطيم الفكر الحر، وتهدد بتوقيع عقوبات همجيـة علي من يتحدون قراراتها. وفي بلاد مثل مصر والجزائـر يقف الليبراليون الآن بجانب الدولة التي اضطهدتهم وسجنتهم في الماضي، في الحرب التي تشنها ضد الأحزاب والحركات الإسلامية.

([1]) هكذا استنتجت دراسة ثاقبة عن الإخوان المسلمين في مصر عـام ١٩٦٩ ان محاولة إحياء الحركة في وسط الستينات " كان " الانفجـار المتوقع للتوتر المستمر الذي سببه إحياء الحركة في وسط السـتينات " كان الانفجار المتوقع للتوتر المستمر الذي سببه الهامش الصغير مـن النشطين المتبنيين لموقف اسلامي غير مؤثر تجـاه مجـتمعهم" ر. ب ميشل ، الأخوان المسلمون (١٩٦٩)

ولكن لم يكن الليبراليون وحدهم الـذين انـدفعوا فـى التخبط بسبب صعود الحركة الاسلامية. بل وأيضا اليسـار. فلم يعرف كيف يتعامل مع ما يراه نظرية ظلامية، تسـاندها قوى رجعية تقليدية، وتتمتع بالنجـاح فـى أوسـاط بعـض الجماعات الأشد فقرا فى المجتمع. ونتج عن ذلك نظـريتين متعارضتين.

الأولى كانت النظر الى الحركة الاسلامية على أنهـا تناسخ رجعى، كنوع من الفاشية. وعلى سبيل المثال، كـان هذا موقف أكاديمية فريد هاليداى الذى اتخذته بعـد الثـورة الايرانية مباشرة، فأطلقت على النظام الايرانى "اسـلاميا ذا وجه فاشى". [٢] وتبنى هذه الرؤية الكثير مـن اليسـاريين الايرانيين بعد تعزيز نظام الخومينى فـى ١٩٨١ - ١٩٨٢. وهذه الرؤية يتقبلها أيضا الكثير من اليساريين فـى مصـر

([٢]) مقال في جريدة " نيو ستيتسـمان – **New Statesman** عـام ١٩٧٩ مذكور في فريد هاليدي : الثورة الإيرانية وعواقبها، نيو لفـت ريفيو – **New Left Review**١٦٦، نوفمبر – ديسـمبر ١٩٨٧ ص ٣٦

والجزائر اليوم. وهكذا، مـثلا، تـرى أحـد المجموعـات الماركسية الثورية فـى الجزائـر أن مبـادئ وأيديولوجيـة وسياسات جبهة الانقاذ الاسلامية مماثلة لأفكـار وسياسـات الجبهة الوطنية فى فرنسا، وأنها تيار فاشى. [٣]

مثل هذا التحليل ينتهى عمليا بسهولة الى بناء أحلاف سياسية لايقاف الفاشيين بأى ثمن. وهكذا انتهـت أكاديميـة هاليداى الى أن اليسار فى ايران قد أخطأ فـى عـدم بنـاء أحلاف مع " البرجوازية الليبرالية " فـى ٧٩-١٩٨١ فـى مواجهة الأفكار والسياسات الرجعية للخـومينى. [٤] وفـى مصر اليوم، يؤيد اليسار، الذى يسيطر عليه تيـار شـيوعى سائد، الدولة بقوة فى حربها ضد الاسلاميين.

وقد كانت وجهة النظر المضادة هـى النظـر الـى الحركات الاسلامية كحركات " تقدمية " للمقهـورين " فـى

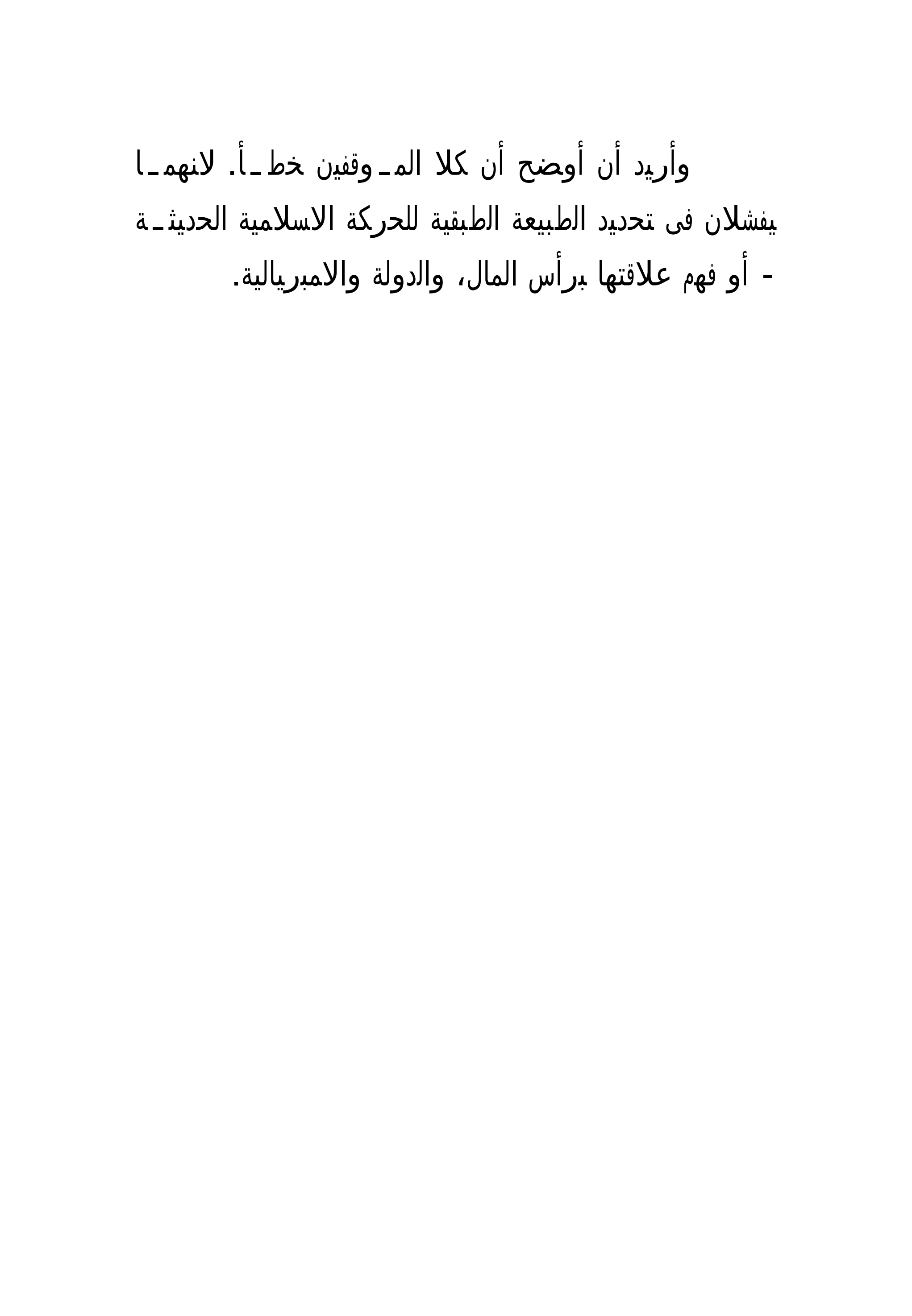
([٣]) مقابلة مـع الحركـة الشـيوعية الجزائريـة (ح. ش. ج) فـي الاشتراكية الأمميـة – **Socialisme Internnationale** بـاريس يوينو ١٩٩١ . ح ش. ج. لم تعد موجودة الآن.

([٤]) ف. هاليدي ، المصدر السابق ص ٥٧

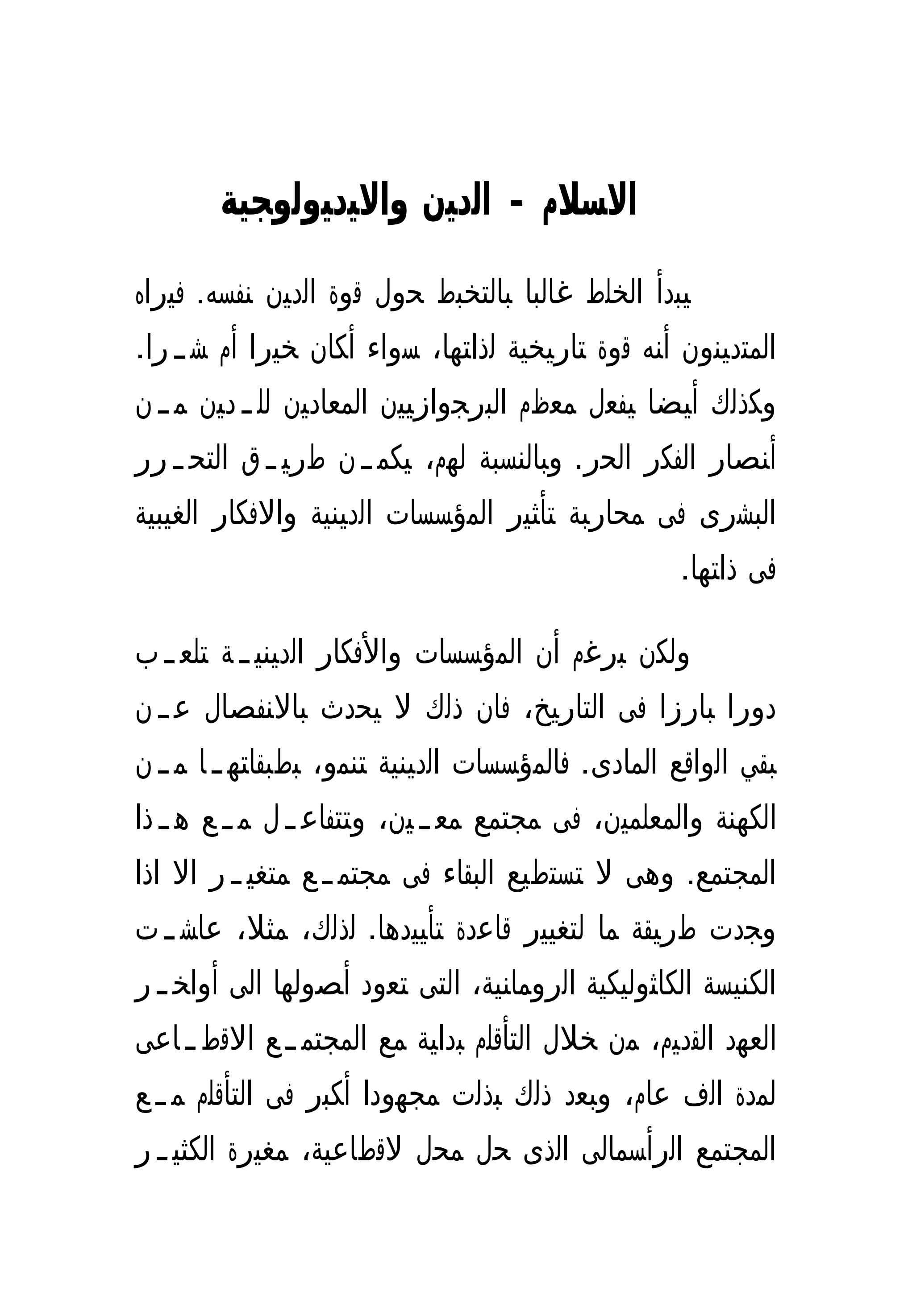
مواجهة الامبريالية ". كان هذا هو الموقف الذى تبناه الجزء الاعظم من اليسار الايرانى فى المرحلة الأولى مـن ثـورة ١٩٧٩، عندما دعى حزب تودة الموالى للسوفيت، وغالبيـة منظمة عصابات الفدائيين، ومجاهـدو الشـعب الاسـلامى اليساريون، القوى التى يقودها الخومينى بأنها " البرجوازيـة الصغيرة التقدمية ". وكانت نتيجـة هـذه الرؤيـة هـى أن الخومينى بالفعل يستحق التأييد المطلق. [5] وقبل ذلك بربـع قرن تبنى الشيوعيون المصريون باختصار نفس الموقف نحو الاخوان المسلمين، داعين اياهم للمشـاركة فـى " نضـال مشترك ضد ' الديكتاتورية الفاشية ' لعبـد الناصـر ومـن يساندونه من الامريكان والانجليز". [6]

([5]) عن التأييد المطلق الذي أعطته التنظيمـات اليسـارية المختلفـة للإسلاميين أنظر : ف. مارشال، الثورة والثورة المضادة فـي إيـران (لندن ١٩٨٨) ص ٦٠- ٦٨ ص ٨٩- ٩٢ وكـذلك م. موعـادل " الطبقة والسياسة والأيديولوجية في الثورة الإيرانية (نيويـورك ١٩٩٣) ص ٢١٥ – ٢١٨ و ف. موجادان: الطرق الخاطئة في إيـران " نيـو لفت ريفيو – **New Left Review**.

([6]) كتيب مذكور في ر. ميتشل ، المصدر السابق ص ١٢٧



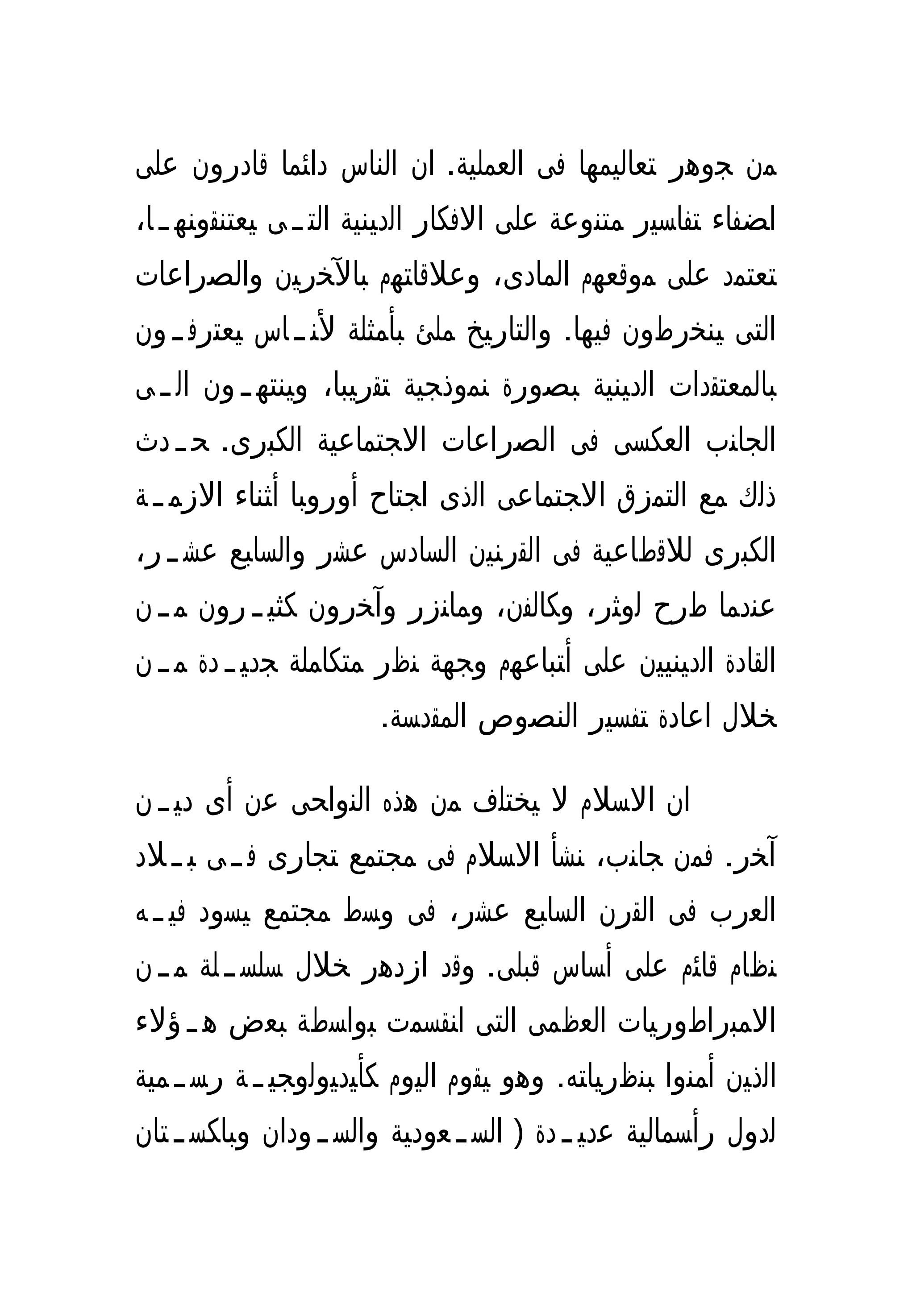
وأريد أن أوضح أن كلا الموقفين خطأ. لانهما يفشلان فى تحديد الطبيعة الطبقية للحركة الاسلامية الحديثة - أو فهم علاقتها برأس المال، والدولة والامبريالية.



الاسلام - الدين والايديولوجية

يبدأ الخلط غالبا بالتخبط حول قوة الدين نفسه. فيراه المتدينون أنه قوة تاريخية لذاتها، سواء أكان خيرا أم شـرا. وكذلك أيضا يفعل معظم البرجوازيين المعادين للـدين مـن أنصار الفكر الحر. وبالنسبة لهم، يكمـن طريـق التحـرر البشرى فى محاربة تأثير المؤسسات الدينية والافكار الغيبية فى ذاتها.

ولكن برغم أن المؤسسات والأفكار الدينيـة تلعـب دورا بارزا فى التاريخ، فان ذلك لا يحدث بالانفصال عـن بقي الواقع المادى. فالمؤسسات الدينية تنمو، بطبقاتهـا مـن الكهنة والمعلمين، فى مجتمع معـين، وتتفاعـل مـع هـذا المجتمع. وهى لا تستطيع البقاء فى مجتمـع متغيـر الا اذا وجدت طريقة ما لتغيير قاعدة تأييدها. لذلك، مثلا، عاشـت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، التى تعود أصولها الى أواخـر العهد القديم، من خلال التأقلم بداية مع المجتمـع الاقطـاعى لمدة الف عام، وبعد ذلك بذلت مجهودا أكبر فى التأقلم مـع المجتمع الرأسمالى الذى حل محل لاقطاعية، مغيرة الكثيـر



من جوهر تعاليمها فى العملية. ان الناس دائما قادرون على اضفاء تفاسير متنوعة على الافكار الدينية التى يعتنقونها، تعتمد على موقعهم المادى، وعلاقاتهم بالآخرين والصراعات التى ينخرطون فيها. والتاريخ ملئ بأمثلة لأناس يعترفون بالمعتقدات الدينية بصورة نموذجية تقريبا، وينتهون الى الجانب العكسى فى الصراعات الاجتماعية الكبرى. حدث ذلك مع التمزق الاجتماعى الذى اجتاح أوروبا أثناء الازمة الكبرى للاقطاعية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، عندما طرح لوثر، وكالفن، ومانزر وآخرون كثيرون من القادة الدينيين على أتباعهم وجهة نظر متكاملة جديدة من خلال اعادة تفسير النصوص المقدسة.

ان الاسلام لا يختلف من هذه النواحى عن أى دين آخر. فمن جانب، نشأ الاسلام فى مجتمع تجارى فى بلاد العرب فى القرن السابع عشر، فى وسط مجتمع يسود فيه نظام قائم على أساس قبلى. وقد ازدهر خلال سلسلة من الامبراطوريات العظمى التى انقسمت بواسطة بعض هؤلاء الذين أمنوا بنظرياته. وهو يقوم اليوم كأيديولوجية رسمية لدول رأسمالية عديدة (السعودية والسودان وباكستان

وايران.. الخ)، وكذلك هو مصدر الالهام لكثير من الحركات المعارضة.

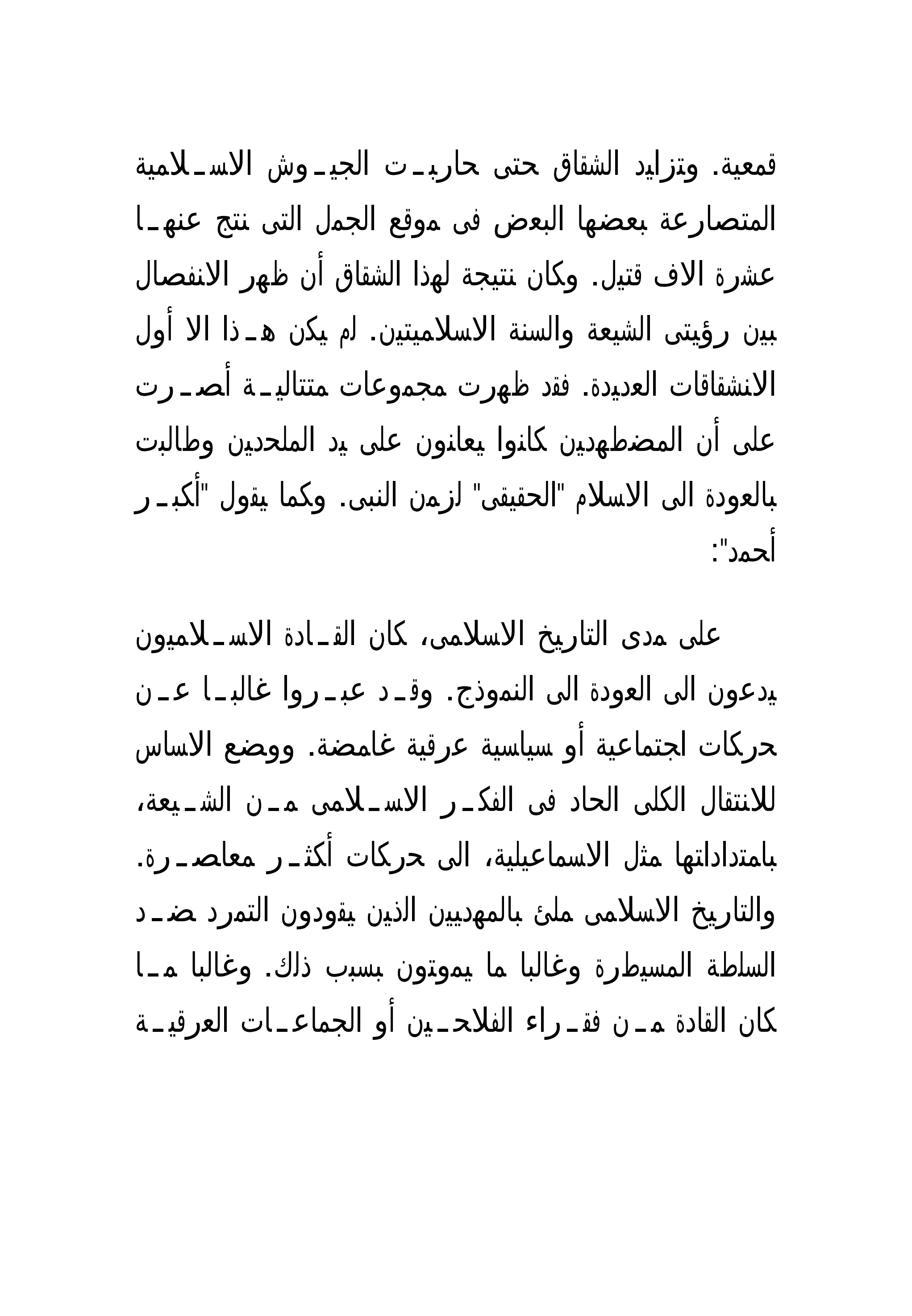
وقد أمكنه الاستمرار فى هذه المجتمعـات المختلفـة لانه استطاع التكيف مع مصالح طبقيـة متغيـرة. وبالتـالى توفرت له الاموال لبناء المساجد وتعيين الدعاة من التجـار العـرب، والبيروقـراطيين، ومـلاك الاراضـى، وتجـار الامبراطوريات العظمى، والصناعيين فى الرأسمالية الحديثة. ولكنه حظى فى نفس الوقت بولاء الجمـاهير مـن خـلال توصيل رسالة تتضمن تعزية للفقراء والمقهورين. وفى كـل مناسبة كانت هذه الرسالة توازن بين الوعـد بدرجـة مـن الرعاية للمقهورين وتوفير الحماية للطبقات المتسغلة ضد أى انتفاضة ثورية.

هكذا يؤكد الاسلام على أنه يجب على الاغنياء سداد ضريبة اسلامية تعادل ٢،٥ % (الزكاة) لمساعدة الفقـراء، وأن الحكام يجب أن يحكموا بالعدل، وأن الازواج يجـب أن يحسنوا معاملة الزوجات. ولكنه أيضا يعتبر مصادرة الفقراء لاموال الاغنياء سرقة، ويؤكد على أن الخروج على حكومة

" عادلة " جريمة يجب معاقبتها بأقصى العقوبات التى يقرها القانون، ويمنح النساء حقوقا أقل من الرجال فـى الـزواج، وفى الميراث، وفى الاولاد فى حالة الطـلاق. انـه يجـذب الاغنياء والفقراء على حد سواء بتنظيم عمليـة الاضـطهاد، فيشكل حماية ضد كل من الاضطهاد الاشد وضد الثورة. انه مثل المسيحية، والهندوسية والبوذية يمثل كلا من القلب فـى عالم بلا قلب وأفيون الشعوب.

ولكن لا يمكن أن يكون لمجموعة من الافكار مثـل هذه الجاذبية لمختلف الطبقات، خاصة عندما يعانى المجتمـع من توترات اجتماعية حادة، الا اذا كانت مليئة بـالغموض. فلابد أن تستجيب لتفسيرات مختلفة، حتى وان أدى هذا الـى صراع بين مؤيديها.

كان هذا صحيحا بالنسبة للاسلام منذ بدايتـه. فبعـد موت محمد فى عام ٦٣٢ ميلادية، أى بعد عامين فقط مـن دخول الاسلام مكة، انفجر الشقاق بين أتباع أبو بكر، الـذى أصبح أول خليفة لمحمد فى قيادة المسـلمين، وعلـى، زوج فاطمة ابنة النبى. رأى على أن بعض أحكام أبو بكر كانـت


قمعية. وتزايد الشقاق حتى حاربـت الجيـوش الاسـلامية المتصارعة بعضها البعض فى موقع الجمل التى نتج عنهـا عشرة الاف قتيل. وكان نتيجة لهذا الشقاق أن ظهر الانفصال بين رؤيتى الشيعة والسنة الاسلاميتين. لم يكن هـذا الا أول الانشقاقات العديدة. فقد ظهرت مجموعات متتاليـة أصـرت على أن المضطهدين كانوا يعانون على يد الملحدين وطالبت بالعودة الى الاسلام "الحقيقى" لزمن النبى. وكما يقول "أكبـر أحمد":

على مدى التاريخ الاسلامى، كان القـادة الاسـلاميون يدعون الى العودة الى النموذج. وقـد عبـروا غالبـا عـن حركات اجتماعية أو سياسية عرقية غامضة. ووضع الاساس للانتقال الكلى الحاد فى الفكـر الاسـلامى مـن الشـيعة، بامتداداتها مثل الاسماعيلية، الى حركات أكثـر معاصـرة. والتاريخ الاسلامى ملئ بالمهديين الذين يقودون التمرد ضـد السلطة المسيطرة وغالبا ما يموتون بسبب ذلك. وغالبا مـا كان القادة مـن فقـراء الفلاحـين أو الجماعـات العرقيـة

المحرومة. وقد عزز استخدام لغة اسلامية احساسهم بالحرمان ودعم الحركة. [7]

ولكن حتى التيار السائد من الاسلام، فى أشكاله الشعبية على الاقل، لا يشكل مجموعة متجانسة من الافكار. فقد أدى انتشار الدين الاسلامى ليشمل كامل المنطقة من ساحل الاطلنطى فى الشمال الغربى لافريقيا الى مضيق البنغال الى احتواء شعوب داخل المجتمع الاسلامى أدخلت على الاسلام الكثير من ممارساتها الدينية القديمة، حتى وان تناقض هذا مع بعض مبادئ الاسلام " الحقيقى ". لذلك غالبا ما يحتوى الاسلام الشعبى على فرق للقديسين (المشايخ) المحليين أو الاثار المقدسة برغم أن الاسلام العقائدى يعتبر مثل هذه الممارسات وثنية لا تحترم المقدسات. وانتشرت الطرق الصوفية، برغم أنها لا تشكل منافسا رسميا للاسلام السائد،

([7]) أ. س . أحمد : اكتشاف الإسلام (نيودلهي ، ١٩٩٠) ص ٦١-٦٤.

مؤكدة على الجانب الاسطورى والغيبى الذى يعترض عليـه الكثير من الاصوليين. [٨]

فى ضوء ذلك، فان أى دعوة للعودة الى ممارسـات عصر النبى ليست فى الواقع دعوة للحفاظ علـى الماضـى ولكن دعوة لاعادة تشكيل سلوك الناس على شئ ما مختلـف تماما.

كان هذا صحيحا بالنسبة لحركة الاحياء الاسـلامى على مدى القرن الماضى. فقد نشأت كمحاولـة لاسـتيعاب الاحتلال المادى والتحول الثقافى لآسيا وشمال افريقيـا مـن قبل أوروبا الرأسمالية. فقد نادى زعماء هذه الحركة بأن هذا كان ممكنا فقط لأن القيم الاسلامية قد شوهت بسبب المطامع الدنيوية للامبراطوريات العظمى فى القرون الوسطى. وكان الاحياء ممكنا فقط ببعث روح اسلام مرحلة التأسـيس التـى عبر عنها الخلفاء الاربعة الأوائل (أو الى عبر عنها علـى

([٨]) عن الصوفية الأفغانية أنظر : أ. روي ، الإسلام والمقاومـة فـي أفغانسات (كامبريدج ، ١٩٩٠) ص ٣٨- ٤٤، وعن الصـوفية فـي الهند وباكستان أنظر أ.س أحمد ، المصدر السابق ص ٩٠- ٩٨.

بالنسبة للشيعة). وعلى سبيل المثال، كانت هذه الروح هـى التى مكنت الخومينى من الانكـار الفعلـى لكـل التـاريخ الاسلامى خلال ال ١٣٠٠ عام الماضية:

" لسوء الحظ، استمر الاسلام الحقيقى لمدى بسـيطة فقط بعد نزوله. عانى الاسلام فى ظل الامويين (أول حكـم عربى وراثى بعد على) ثم العباسيين (الذين هزمـوهم فـى عام ٧٥٠ ميلادية) من كافة أشكال التشويه. وبد ذلك استمر الملوك الذين حكموا ايران على نفس المنوال. لقـد شـوهوا الاسلام تماما وأقاموا شيئا آخر مختلفا فى مكانه." [٩]

هكذا، فرغم أن الافكار الاسلامية تقدم علـى أنهـا نظرية تقليدية تقوم على رفض العالم الحديث، من قبل كـل من المدافعين عنها ومعارضيها، فان الامر فى الواقع أكثـر تعقيدا من ذلك. فالتطلع الى اعادة خلق ماضـى اسـطورى يتضمن عدم ترك المجتمع الحالى كما هو، ولكـن تـدميره. والاكثر من ذلك، لا يمكن أن يهدف هذا التدمير الى انتـاج

([٩])إ.خوميني ، الإسلام والثورة ،(بيركلي ، ١٩٨١) مذكور في أ. س

نسخة كربونية من اسلام القرن السابع عشر، حيث لا يرفض الاسلاميون كل ملامح المجتمع الحالى. فهم، على أى حـال يقبلون الصناعة الحديثة، والتكنولوجيا، والكثير مـن العلـوم التى تعتمدا عليها- والحقيقة أنهم يرون أن الاسلام، كنظرية أكثر عقلانية وأقل خرافة من المسيحية، يتناسب أكثـر مـع العلم الحديث. ولذلك فان زعماء الصـحوة الاسـلامية فـى الواقع يحاولون تقديم شئ ما لم يوجد أبدا من قبل، يصـهر الموروثات القديمة مع أشكال الحياة الاجتماعية الحديثة.

هذا يعنى أنه من الخطأ اعتبـار كـل الاسـلاميين ببساطة رجعيين، أو مساواة الاصولية الاسلامية ككل بأشكال الاصولية المسيحية التى تشكل حصن الجناح اليمينـى فـى الحزب الجمهورى فى الولايات المتحـدة. ربمـا يسـتخدم زعماء مثل الخـومينى، وزعمـاء جماعـات المجاهـدين المتصارعة فى أفغانستان، أو قادة جبهة الانقاذ الاسلامية فى الجزائر، نظريات تقليدية ويشكلوا عنصـر جـذب لحنـين الطبقات الاجتماعية المتجهة الى الفناء الى الماضى، ولكنهم أيضا عنصر جذب للتيارات الثورية الناتجـة عنـد تحويـل

الرأسمالية للمجتمع، ويذكر أوليفر روى فـى حديثـه عـن الاسلاميين الافغان أن:

" الاصولية مختلفة تماما (عن التقليدية): فتكون الاهمية القصوى بالنسبة للاصولية للعودة الى النصوص الدينية، مع تجنيب التباسات التراث. وتسعى دائما الى العودة الى حالـة سابقة، وتتميزباعادة قراءة النصوص والبحث عن الاصول. وتعتبر عدوها التراث وليس الحداثة، أو بالاحرى، بالنسـبة للاسلام، كل ما هو ليس تراث النبى. ان الاصولية اصـلاح حقيقى للدين".[10]

ان الاسلام التقليدى أيديولوجية تسعى للابقاء علـى نظام اجتماعى يدمره التطور الرأسمالى- أو علـى الاقـل، الانتساب الى هذا النظام من أجل اخفاء تحول طبقة حاكمـة قديمة الى رأسمالية حديثة، كما حدث بالنسبة للنموذج الـذى طورته العائلة المالكة فى السـعودية. الاسـلام أيديولوجيـة تحاول تغيير المجتمع وليس الحفاظ على نمط الحياة القـديم،

([10]) أ. روي ، المصدر السابق، ص ٨٨ – ٩٠.

برغم أنها تتفق مع نفس مبادئ اسلام الرسول. ولهذا السبب، حتى اصطلاح الاصولية ليس مناسبا بشكل حقيقـى. وكمـا يلاحظ ابراهيميان:

"يتضمن اصطلاح " الاصولية" عدم مرونـة دينيـة ونقاء ثقافى، وفكر سياسى تقليدى، بـل ورؤيـة اجتماعيـة محافظة تقوم على محورية المبـادئ النظريـة للنصـوص الدينية. ان الاصولية تتضمن رفض العالم الحديث" (١١)

ولكن الحركات المشابهة لحركة الخومينى فى ايران تستند فى الواقع على مواءمة أيديولوجية ومرونة ثقافية مـع تمرد سياسى ضد النظام القائم، وقضايا اجتماعية واقتصادية تشعل المعارضة الجماهيرية للوضع القائم. (١٢)

وبرغم ذلك، غالبا ما يوجد لبس حول الفروق بـين الايديولوجية الاسلامية والايديولوجية التقليدية. وبالـذات لأن

---

(١١) جزيز أنتليس، الجزائر ، الثورة المؤسسة (بولدر ، ١٩٨٦) ص ٧٦

(١٢) المصدر السابق.

نظرية الاحياء الاجتماعى مغلفة فى لغة دينية، فهـى قابلـة لتفسيرات مختلفة. ومن الممكن أن تعنى فقط القضاء علـى "السلوكيات السيئة" من خلال العودة الـى أشـكال السـلوك المفترض أنها سبقت " تشويه " الاسلام الناتج عن "الاستعمار الثقافى". ويكون التشديد بالتالى علـى " احتشـام " المـرأة وارتداء الحجاب، ونهاية الاختلاط " الغيـر مـنظم " بـين الجنسين فى المدارس وأماكن العمل، ومعارضة الموسـيقى الشعبية الغربية، وهكذا. وهكذا استطاع على بلحـاج، أحـد القادة ذوى الشعبية الكبيرة فـى جبهـة الانقـاذ الاسـلامية الجزائرية، أن يستنكر " العنف " ضد المسلمين الناتج عـن " الاحتلال الثقافى ":

" نعتقد نحن المسلمون أن أخطر أشكال العنف الذى نعانيه ليس العنف الجسدى، فنحن مستعدون له... بل العنف الذى يمثل تحديا للمجتمع الاسلامى من خلال فرض التشريع الشيطانى بدلا من الشريعة.

هل هناك عنف أشد من ذلك الذى يتمثل فى احـلال ما حرم ا ؟ وفتح مؤسسـات لصـناعة الخمـور(عمـل

الشيطان) يحميها البوليس؟ هل يمكن الاعتقاد فى أى عنـف أشد من عنف تلك المرأة التى تحرق الحجاب فى مكان عـام وأمام عيون الجميع، معلنة أن قانون الأسرة يضطهد المـرأة وتجد من يؤيدها من المتشبهين بالنساء وأنصـاف الرجـال والمتحولين جنسيا.

ليس من العنف مطالبة المرأة بالمكوث فى البيت، فى جو من الطهر والحماية والتواضع وخروجها فقط فى حالات الضرورة التى يحددها المشرع، أو المطالبة بالفصـل بـين الجنسين بين طلبة المدارس، ومنع هذا الاختلاط المشين الذى يسبب العنف الجنسى." [١٣]

ولكن الاحياء يمكن أن يعنى أيضـا تحـدى الدولـة وعناصر السـيطرة السياسـية للامبرياليـة. هكـذا أغلـق الاسلاميون الايرانيون أكبر محطة اذاعة للولايات المتحـدة فى آسيا واحتلوا سفارتها. ولعب حـزب ا فـى الجنـوب

([١٣]) من المسئول عن العنف؟ منشور فـي الجزائـر والإسـلاميين، تحرير. م. الأحنف و ب. بوتيفو وف. فريجوس (بـاريس، ١٩٩٠) ص ١٣٢ وما بعده.

اللبنانى ومنظمة حماس فى الضفة الغربية وغزة دورا رئيسيا فى الصراع المسلح ضد اسرائيل. ونظمـت جبهـة الانقـاذ الاسلامية الجزائرية مظاهرات ضخمة ضد حرب الولايـات المتحدة ضد العراق برغم انهم فقدوا التمويل السعودى نتيجة لذلك. بل أن الاحياء يمكن أن يعنى، فى حالات معينة، تأييد الصراع المادى ضد استغلال العمال والفلاحين، كمـا فعـل المجاهدون الايرانيون فى ٧٩-١٩٨٢.

من الطبيعى أن تجذب التفسيرات المختلفة للاحيـاء هؤلاء الذين ينتمون الى طبقات مختلفة. ولكن الخطاب الدينى يمكنه أن يمنع معرفة الفروق بين هؤلاء المنخـرطين فيـه وبعضهم البعض. ففى حمية الصراع يستطيع الافراد الخلـط بين المعانى، كذلك يبدو الصراع ضد تبرج المرأة كصـراع ضد شركات البترول الغربيـة والبـؤس الشـديد لجمـاهير الشعب.

هكذا فى الجزائر فى أواخر الثمانينات بلحاج:

" جعل من نفسه صوتا لكل أولئك الذين ليس لديهم ما يفقدونه.. ودعا الى التطبيق الحازم لاوامر الاسلام من خلال فهمه له فى أنقى صورة دينية. أعلن بلحاج فى كل يوم جمعة الحرب على العالم ككل.وكـان الهـدف المفضـل لخطبتـه الاسبوعية اليهـود والمسـيحيين والصـهاينة والشـيوعيين والعلمانيين والليبـراليين والمـاديين، وحكومـات الشـرق والغرب، ورؤساء الدول عرب أو مسلمين وأعضاء الاحزاب المتفرنجة والمثقفين. "[١٤]

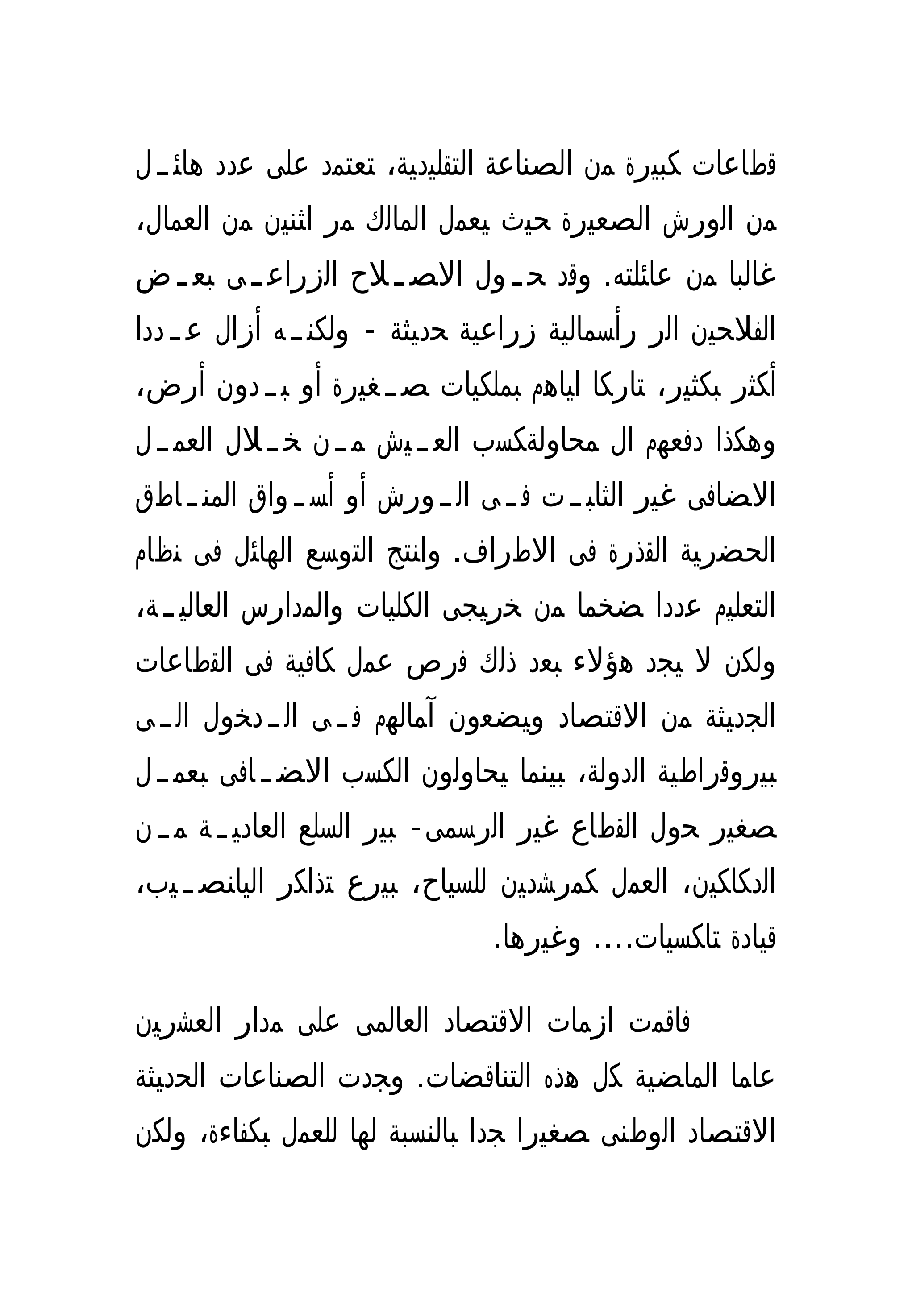
وبرغم ذلك، يوجد خلف هذا التخبط فـى الافكـار مصالح طبقية حقيقية مؤثرة.

([١٤]) المصدر السابق، ص ٣١.

الاساس الطبقى للحركة الاسلامية

ظهرت الحركة الاسلامية فى مجتمعات عانت نتيجة لتأثير الرأسمالية - أولا فى شكل الاحتلال الخارجى من قبل الامبريالية، ثم من خلال التحول فى العلاقـات الاجتماعيـة الداخلية المصاحبة لظهورطبقة رأسمالية محلية وتأسيس دولة رأسمالية مستقلة.

حلت طبقات اجتماعية جديدة محل الطبقات القديمة، برغم أن ذلك لم يحدث فورا أو بشكل واضح تمامـا. لقـد تحقق ما وصفه تروتسكى أنه " التطور الموحد غير المتكافئ ". وقد تراجع الاستعمار فى الخارج، ولكن استمرت القـوى الامبريالية العظمى - خاصة الولايات المتحدة- فى استخدام قواتها العسكرية كأداة مساومة للسيطرة على انتاج البترول، المورد الرئيسى والوحيد للشرق الاوسط. وفى الـداخل، أدى تشجيع الدولة - وغالبـا ملكيتهـا - الـى تطـوير بعـض الصناعات الحديثة ذات الحجـم الكبيـر، ولكـن اسـتمرت



قطاعات كبيرة من الصناعة التقليدية، تعتمد على عدد هائـل من الورش الصغيرة حيث يعمل المالك مر اثنين من العمال، غالبا من عائلته. وقد حـول الاصـلاح الزراعـى بعـض الفلاحين الر رأسمالية زراعية حديثة - ولكنـه أزال عـددا أكثر بكثير، تاركا اياهم بملكيات صـغيرة أو بـدون أرض، وهكذا دفعهم ال محاولةكسب العـيش مـن خـلال العمـل الاضافى غير الثابـت فـى الـورش أو أسـواق المنـاطق الحضرية القذرة فى الاطراف. وانتج التوسع الهائل فى نظام التعليم عددا ضخما من خريجى الكليات والمدارس العاليـة، ولكن لا يجد هؤلاء بعد ذلك فرص عمل كافية فى القطاعات الجديثة من الاقتصاد ويضعون آمالهم فـى الـدخول الـى بيروقراطية الدولة، بينما يحاولون الكسب الاضـافى بعمـل صغير حول القطاع غير الرسمى- بير السلع العاديـة مـن الدكاكين، العمل كمرشدين للسياح، بيرع تذاكر اليانصـيب، قيادة تاكسيات.... وغيرها.

فاقمت ازمات الاقتصاد العالمى على مدار العشرين عاما الماضية كل هذه التناقضات. وجدت الصناعات الحديثة الاقتصاد الوطنى صغيرا جدا بالنسبة لها للعمل بكفاءة، ولكن

المنافسة فى السوق العالمى قوية جدا بالنسبة لها للبقاء بدون حماية الدولة. وكانت الصناعات التقليدي بشكل عام غير قادرة على التحديث بدون دعم الدولة ولا يمكنها التعويض عن فشل الصناعة الحديثة فى توفير فرص عمل لسكان المدن المتزايدين باستمرار. ولكن قطاعات قليلة استطاعت اقامة صلات خاصة بها مع رأس المال العالمى وزاد امتعاضها من سيطرة الدولة على الاقتصاد. وتزايد تلهف أغنياء المدن على البضائع الفاخرة المتوفرة فى السوق العالمية، مما زاد من التذمر بين العمال غير الثابتين والعاطلين عن العمل.

تمثل الحركة الاسلامية محاولة لاستيعاب هذه التناقضات بواسطة أشخاص تربوا على احترام الافكار الاسلامية التقليدية. ولكنها لا تجد تأييدا متساويا من كل قطاعات المجتمع. لأن بعض القطاعات تعتنق ايديولوجية قومية برجوازية علمانية حديثة، بينما قطاعات أخرى تميل نحو شكل ما من وجهة نظر طبقة عاملة علمانية. ويجد الاحياء الاسلامى مساندة من أربع شرائح اجتماعية مختلفة - تفسر كل منها الاسلام بطريقتها الخاصة.

١ - الرؤية الاسلامية للمستغلين القدماء:

أولا يوجد هؤلاء أعضاء الطبقات التقليدية المتميزة الذين يخافون الضياع فى التحديث الرأسمالي للمجتمع - وخاصة ملاك الاراضى بما فيهم رجال الدين الذين يعتمدون على عوائد الاراضى المملوكة للمؤسسات الدينية، والتجار الرأسماليين التقليديين، وأصحاب العدد الهائل من المحلات الصغيرة والورش. مثل هذه الشرائح غالبا كانت المصدر التقليدى للتمويل بالنسبة للمساجد ويرون الاسلام طريقة للدفاع عن نمط حياتهم القائم وجعل هؤلاء الذين يترقبون التغيير يستمعون الى أصواتهم. هكذا فى ايران والجزائر كانت هذه الشرائح هى التى وفرت التمويل لرجال الدين لمعارضة برنامج الاصلاح الزراعى للدولة فى الستينات والسبعينات.

٢-الرؤية الاسلامية للمستغلين الجدد:

ثانيا، بعض الرأسالميين، غالبا ظهروا من بين الشريحة الأولى، الذين حازوا النجاح برغم عداء تلك الشرائح التى لها علاقات مع الدولة. مثلا فى مصر، شق الاخوان المسـلمون الحاليون طريقهم داخل النسيج الاقتصادى لمصر السادات فى وقت كانت قطاعات كاملة منه قد تحولت الى رأسمالية غير منظمة. وقد كشف عثمان احمد عثمان، روكفلر المصـرى، عن تعاطفه مع الاخوان. [١٥]

وفى تركيا يتمتع حزب الرفاه، الذى يقـوده عضـو سابق فى الحزب المحافظ الرئيسى، بتأييد عدد كبيـر مـن أصحاب رؤوس الاموال متوسطة الحجم. وفى ايران كـان من بين البازاريين الذين أيدوا الخومينى ضد الشاه عدد كبير من الرأسماليين المتذمرين من الطريـق التـى تميـز بهـا السياسات الاقتصادية أولئك الرأسماليين القريبين من التاج.

([١٥]) ج. كيبل، النبي والفرعون، (لندن ١٩٨٥) ص ١٠٥

٣-الرؤية الاسلامية للفقراء:

المجموعة الثالثة هم فقراء الريف الذين عانوا فى ظـل تقدم الزراعة الرأسمالية والذين دفعوا الـى المـدن للبحـث المستميت عن عمل. وهكذا فى الجزائر من بـين اجمـالى سكان الريف البالغين ٨،٢ مليون استفاد ٢ مليون فقط مـن الاصلاح الزراعى. وكان على السـتة ملايـين الاخـرين مواجهة الاختيار بين البؤس المتزايد فى الريف أو الـذهاب الى المدن للبحث عن عمل[١٦]. ولكن فـى المـدن " ادنـى شريحة اجتماعية تتشكل من الكتلة الصـلبة مـن العـاطلين المكونين من الفلاحين السابقين النازحين الذين أغرقوا المدن بحثا عن عمل وفرصة اجتماعية، منفصلين عـن المجتمـع

([١٦]) أنظر ، مثلا، ك، بفايفر، الإصلاح الزراعي في ظل رأسـمالية الدولة الجزائرية (بولدر، ١٩٨٥) ص ٥٩ وس . أندرسون، فـلاح أم بروليتاري؟ (سـتوكهولم ، ١٩٨١)، ص ٦٧، و م. رافينـوت وب . جاكيمو، رأسمالية الدولة في الجزائر (باريس، ١٩٧٧).

الريفى دون أن ينـدمجوا انـدماجا حقيقيـا فـى المجتمـع الحضرى". [17]

فقد هؤلاء ثوابت الحياة القديمة، تلك الثوابـت التـي ارتبطت عندهم بالثقافة الإسـلامية التقليديـة دون أن تحـل محلها ظروف مادية آمنة أو حياة مستقلة ، " . لم يعد هنـاك إرشادات واضحة للسلوك والإيمان لملايين الجزائريين الذين يقعون الآنبين تقاليد لم تعـد إرشـادات واضـحة للسـلوك والإيمان لملايين الجزائريين الذين يقعون الآن بين تقاليد لـم تعد تحوز على ولائهم الكامل وبين حداثة لا يمكنها أن تلبي احتياجاتهم النفسية والروحية وخاصة الشباب منهم " [18]

فى مثل هذا الموقف، حتى التحريض الاسـلامى ضـد الاصلاح الزراعى لصالح ملاك الاراضـى القـدماء فـى السبعينات استطاع جذب الفلاحين والفلاحين السـابقين. لأن الاصلاح الزراعى كان رمزا لتحول الريف الذى دمر اسلوبا

([17]) ج. ب . أنتليس، الجزائر، الثورة المؤسسة (بولدر، ١٩٨٦) ص ٧٦.

([18]) المصدر السابق

آمنا، وان كان بائسا، فى الحيـاة. بالنسـبة لمـلاك الارض والفلاحين الذين لا يملكون أراضى، يقدم الاسلاميون نفـس الطرح: لقد حرم القرآن مصادرة ما يملك الآخرون، وهـو يوصى الاغنيـاء والحكـام حسـب السـنة بـالكرم مـع الآخرين. [١٩]

تزايدت شعبية الحركة الاسلامية خـلال الثمانينـات حيث فاقمت الأزمة الاقتصادية التناقض بين جماهير الفقراء والصفوة التى تشكل حوالى ١% فى السكان الذين يسيطرون على الدولة والاقتصاد. ولم تتناسب ثروتهم واسلوب حيـاتهم الغربى مع ادعـائهم بـأنهم ورث صـراع التحـرر ضـد الفرنسيين. وكان من السهل جدا أن يرى الفلاحون السابقون السلوك " الغير اسلامى " لهذه الصفوة كسبب لبؤسهم.

وكذلك فى ايران، استفاد مـن التحـول الرأسـمالى للزراعة المتمثل فى الاصلاح الزراعى الذى قام به الشاه فى الستينات عدد قليل من الكادحين، بينما ترك الباقون فى حالة

---

(١٩) أ. روديا، الإخوان و المسجد ، (باريس، ١٩٩٠)، ص ٣٣

ليست أفضل مما سبق وأحيانا أسوأ. وقـد زاد مـن عـداء الفقراء الريفيين وكذلك النازحين الى الحضر حـديثا ضـد الدولة - العداء الذى لم يسبب أى ضرر للقـوى الاسـلامية التى عارضت الاصلاح الزراعى. لذلك عندما استخدم الشاه قوة الدولة فى عام ١٩٦٢ مثلا ضد زعماء الاسلاميين، جعل ذلك منهم مركزا لتذمر أعداد كبيرة من الناس.

فى مصر زاد الانفتاح الاقتصـادى علـى السـوق العالمى من خلال الاتفاقيات مع البنك الدولى وصندوق النقد الدولى منذ منتصف السبعينات وما بعدها من سوء أوضـاع جماهير الفلاحين والفلاحين السابقين بشكل هائل، ممـا أدى الى تزايد الشعور بالعداء والمـرارة. وفـى أفغانسـتان أدى الاصلاح الزراعى الذى فرض بعد الانقلاب الذى قـام بـه الحزب الشيوعى فى ١٩٧٨ الى سلسلة مـن الانتفاضـات العفوية من كل قطاعات السكان الريفيين:

" قضت الاصلاحات على الاساليب التقليدية للعمـل التى تعتمد على المصلحة المتبادلة، دون تقـديم أى بـديل. حرص ملاك الاراضى الذين صودرت ممتلكاتهم على عـدم

توزيع آية بذور لمزارعيهم، والاشخاص الذين كانوا على استعداد لتقديم القروض يرفضون ذلك الان. وكانت هناك خطط لانشاء بنك للتنمية الزراعية وتأسيس مكتب لمراقبة توزيع البذور والاعلاف، ولكن لم يتم أيا من ذلك عندما بدأت الاصلاحات فعليا. لذلك كان الاعلان عن الاصلاح الزراعى نفسه هو الذى حرم الفلاحين من امدادات الحبوب. ولم يدمر الاصلاح الهيكل الاقتصادى فقط وانما دمر أيضا كامل الاطار الاجتماعى لعملية الانتاج. لذلك لم يكن غريبا أنه بدلا من أن تضع هذه الاصلاحات ٩٨% من الشعب فى مواجهة ٢% من الطبقات المستغلة، أدت الى تمرد عام فى ٧٥% من المناطق الريفية. وعندما بدا أن النظام الجديد غير صالح، حتى الفلاحين الذين رحبوا فى البداية به شعروا بأنه من الافضل العودة الى النظام القديم." [٢٠]

ولكن لم يكن العداء للدولة فقط هو الذى جعل الفلاحين السابقين مستعدين لتقبل وجهة نظر الاسلاميين. فالمساجد تقدم مركزا اجتماعيا لأناس ضاعوا فى مدينة

---

(٢٠) أ. روي و المصدر السابق، ص ٨٨- ٩٠.

جديدة وغريبـة، وكـذلك الجمعيـات الخيريـة الاسـلامية والخدمات الاجتماعية الضرورية (العلاجيـة والتعليميـة.. الخ) التى لم توفرها الدولة. لذلك كان تزايد أعداد المدن فـى الجزائر فى السبعينات والثمانينات مصحوبا بزيادة هائلة فى أعداد المساجد: " حدث كل شئ كما لو كـان التـأخر فـى عمليتى التعليم والتعريب، وغياب المؤسسات الثقافية وأماكن قضاء وقت الفراغ، وعدم توافر الحريات العامـة، ونقـص المساكن، جعل ألاف من البالغين والشباب والاطفال يهربون الى المساجد".[٢١]

فى هذا السياق، تمكنت الارصدة التى قدمها هـؤلاء الذين تتناقض مصالحهم تماما مع الجماهير- طبقـة مـلاك الاراضى القديمة، والاغنياء الجدد أو حكومة السعودية - من توفير كل من الملاذ الثقافى والمادى للفقراء. ففـى المسـجد يرى الجميع - برجوازى عصرى أو تقليدى، أصـولى، أو

([٢١]) أ. روديا ، المصدر السابق، ص ٨٢.

عامل فى مؤسسة كبيرة - امكانية تحسين أوضاعه وتحقيـق أهدافه الخاصة وأحلامه وآماله". [٢٢]

لم يقض ذلك على التقسيمات الطبقية تمامـا داخـل المسجد. ففى الجزائر مثلا، كان هناك خلافات عديـدة بـين أناس جعلتهم أصولهم الطبقية المختلفة ينظرون الى المساجد بطرق مختلفة - مثلا الاختلاف حول عدم قبـول تبرعـات للمسجد لانها جاءت من مصدر حرام. " وفى الواقع، نـادرا ما استكملت لجنة دينية مـدتها، المحـددة مبـدأيا بسـنتين، بالانسجام والاتفاق الذين توصى بهما جماعة الالـه الواحـد التى يتغنى بها المؤذنون دون توقف"[٢٣]. ولكن هذه الخلافات ظلت مغلفة بعباءة دينية اهرية - ولم توقف انتشار المسـاجد وتزايد تأثير الحركة الاسلامية.

([٢٢]) المصدر السابق، ص ٧٨

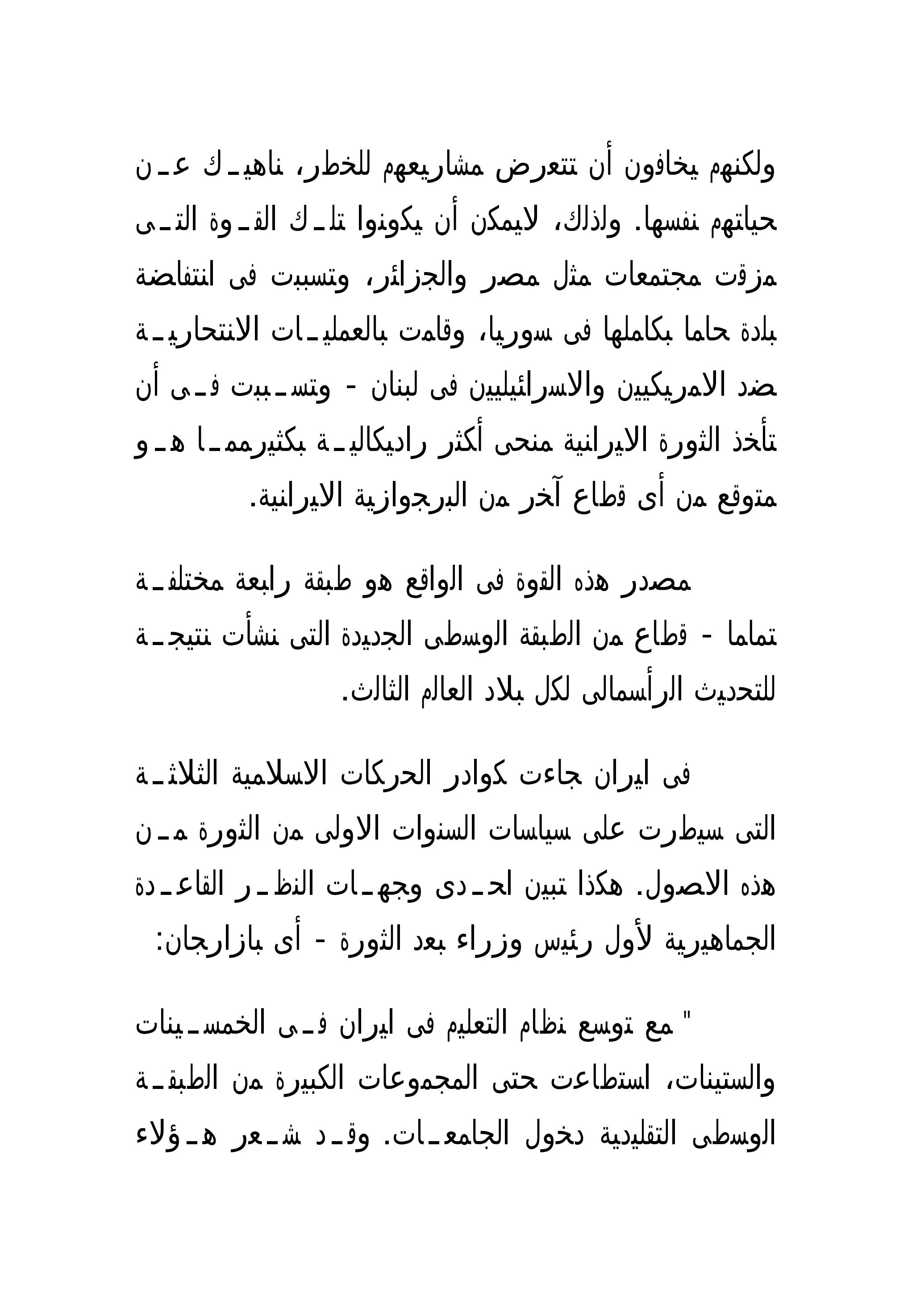
([٢٣]) المصدر السابق

٤-الرؤية الاسلامية للطبقة الوسطى الجديدة:

وبرغم ذلك، ليست الطبقـات المسـتغلة التقليديـة ولا جماهير الفقراء هى التى تمثل العنصر الحيوى الـذى يؤيـد الاحياء والاسلام السياسى - أى الكوادر الفعالة الذين يقومون بالدعاية لافكاره والمخاطرة بالاصابة أو السجن أو المـوت فى المواجهة مع أعدائه.

فالطبقات المستغلة التقليدية بطبيعتها محافظة جـدا. وهى على استعداد للتبرع بالاموال حتى يقاتـل الآخـرون- خاصة للدفاع عن مصالحها المادية. وقد فعلت ذلك عنـدما ووجهت بالاصلاح الزراعـى فـى الجزائـر فـى أوائـل السبعينات، وعندما هاجم النظام البعثى فى سـوريا مصـالح تجار المدن فى مطلع الثمانينات، [٢٤] وعندما شـعر التجـار وصغار رجال الاعمال الايرانيين بأنهم عرضـة لهجمـات الشاه فى ٧٦-١٩٧٨ وبتهديد اليسار لهم فـى ٧٩-١٩٨١.

([٢٤]) عن تلك الأحداث أنظر د. هيرو، الأصولية الإسلامية (لنـدن ، ١٩٨٩)، ص ٩٧.



ولكنهم يخافون أن تتعرض مشاريعهم للخطر، ناهيـك عـن حياتهم نفسها. ولذلك، لايمكن أن يكونوا تلـك القـوة التـى مزقت مجتمعات مثل مصر والجزائر، وتسببت فى انتفاضة بلادة حاما بكاملها فى سوريا، وقامت بالعمليـات الانتحاريـة ضد الامريكيين والاسرائيليين فى لبنان - وتسـببت فـى أن تأخذ الثورة الايرانية منحى أكثر راديكاليـة بكثيرممـا هـو متوقع من أى قطاع آخر من البرجوازية الايرانية.

مصدر هذه القوة فى الواقع هو طبقة رابعة مختلفـة تماما - قطاع من الطبقة الوسطى الجديدة التى نشأت نتيجـة للتحديث الرأسمالى لكل بلاد العالم الثالث.

فى ايران جاءت كوادر الحركات الاسلامية الثلاثـة التى سيطرت على سياسات السنوات الاولى من الثورة مـن هذه الاصول. هكذا تبين احـدى وجهـات النظـر القاعـدة الجماهيرية لأول رئيس وزراء بعد الثورة - أى بازارجان:

" مع توسع نظام التعليم فى ايران فـى الخمسـينات والستينات، استطاعت حتى المجموعات الكبيرة من الطبقـة الوسطى التقليدية دخول الجامعـات. وقـد شـعر هـؤلاء

المتعلمون الجدد بحاجة ماسة لتبرير استمرار تماسكهم حول الاسلام لانفسهم عندما ووجهوا بالمؤسسات التـى يسـيطر عليها الصفوة القديمة المتفرنجة. فانضـموا الـى جمعيـات الطلاب المسلمين (التى ينظمها بازارجان).. وعند الدخول الى حياة الوظيفة، كان المهندسون غالبا ما ينضـمون الـى جمعيات المهندسين الاسلامية، التى أسسها أيضا بازارجان. وقد شكلت شبكة الجمعيات هذه فعـلا القاعـدة الاجتماعيـة المنظمة لبازارجان وحركة التحديث الاسـلامية.. اعتمـدت دعوة بازارجان وتاليقانى على اسلوب تنمية الشعور بالكرامة لدى أعضاء الطبقات الوسطى التقليديـة الناشـئين والـذى ساعدهم على اثبات هويتهم فى مجتمع تسيطر عليه سياسـيا ما يطلقون عليهم النخبة المتفرنجة والملحدة والفاسدة ".[(٢٥)]

علق ابراهيميان حين كتب عن مجاهدى الشعب فـى ايران أن دراسات عديدة عن السنوات الأولى للثورة الايرانية تحدثت عن جاذبية الاسلام الراديكالى بالنسبة 'للمقهـورين'،

([٢٥]) هـ. أ. شيهابي، السياسة الإيرانية والحداثـة الدينيـة، (لنـدن، ١٩٩٠)، ص ٨٩.

ولكن لم يكن المقهورون عموما هم الذين يشـكلون قاعـدة المجاهدين، ولكنها تشكلت من القطاع الواسع مـن الطبقـة الوسطى الجديدة الذين ينتمون الى أسر كانـت جـزءا مـن البرجوازية الصغيرة التقليدية. وقدم تحليلات للمواقع الطبقية للمجاهدين الذين قبض عليهم فـى ظـل الشـاه وتعرضـوا للاضطهاد فى ظل الخومينى لتأييد وجهة نظره. [٢٦]

وبرغم أن القـوة الاسـلامية الثالثـة، أى حـزب الخومينى الجمهورى الاسلامى المنتصر، عادة ما يشار الى أنه يدار من خلال المؤسسات الدينية المرتبطة بالبازاريين - الرأسمالية التجارية التقليدية - فقد كشف موعادل أن أكثـر من نصف أعضائه كانوا من المهنيين، والمدرسين، وموظفى الحكومة أو الطلاب - حتى وان كان ربعهم ينتمـون الـى عائلات البازاريين. [٢٧] وقد لاحظ بايات أن النظـام اعتمـد

([٢٦]) أ. أبراهامين، المجاهدون الإيرانيون ، (لنـدن ، ١٩٨٩)، ص ١٠٧،٢٠٦، ٢١٤، ٢٢٥-٢٢٦.

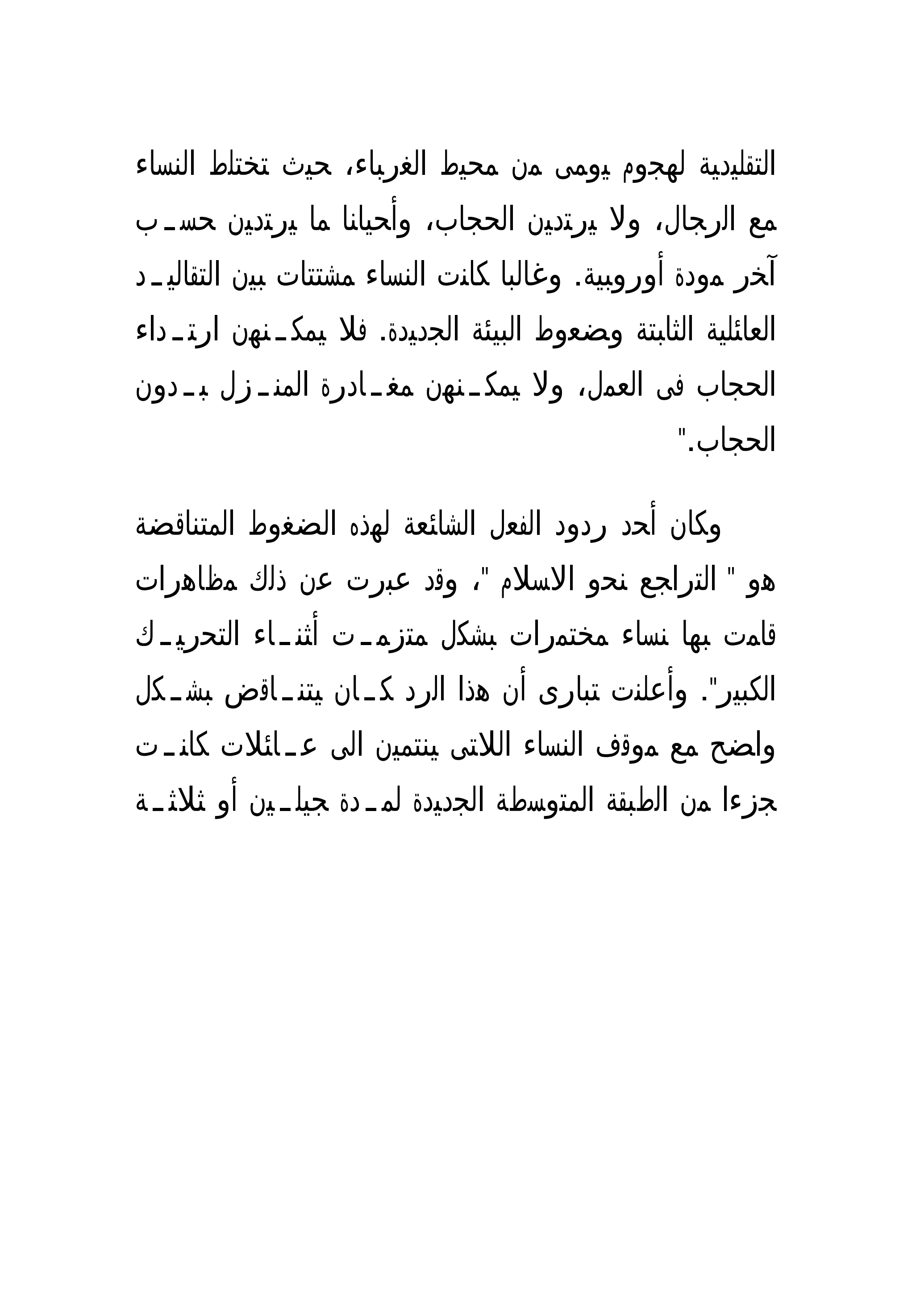
([٢٧]) م. موعادل، المصدر السابق، ٢٢٤- ٢٣٨.

على المهندسين الذين يعملون فى المصانع فى حملته للقضاء على المنظمات العمالية فى المصانع. [٢٨]

وتعلق أزار تبارى أنه بعد سقوط الشـاه اختـارت أعداد كبيرة من النساء فى المدن الايراني ارتـداء الحجـاب واصطفوا ضمن أتباع الخومينى ضد اليسار. وأعلنت أن تلك النساء كن ينتمين الى ذلك القطاع من الطبقة الوسطى الـذى يشكل الجيل الاول الذى يعانى عملية' الاندماج الاجتماعى '. لقد دفعت تلك النساء، اللاتى غالبا ما كن ينتمين الى عائلات من البرجوازية الصغيرة التقليدية، الى التعليم العالى حيـث تدهورت فرص الكسب التقليديـة بالنسـبة لعـائلاتهن مـع التصنيع. وتوفرت لهن فرصة العمل فى مهن مثـل التعلـيم والتمريض. ولكن " كان على تلك النسـاء أن يعـانين مـن التجربة المؤلمة غالبا لتأقلم الجيل الأول":

" عندما بدأت شابات من هذه العائلات فى الـذهاب الى الجامعة أو العمل فى المستشفيات، تعرضت كل المفاهيم

([٢٨]) أ . بيات ، العمال و الثورة في إيران، (لندن، ١٩٨٧)، ص ٥٧.



التقليدية لهجوم يومى من محيط الغرباء، حيث تختلط النساء مع الرجال، ولا يرتدين الحجاب، وأحيانا ما يرتدين حسب آخر مودة أوروبية. وغالبا كانت النساء مشتتات بين التقاليد العائلية الثابتة وضغوط البيئة الجديدة. فلا يمكنهن ارتداء الحجاب فى العمل، ولا يمكنهن مغادرة المنزل بدون الحجاب."

وكان أحد ردود الفعل الشائعة لهذه الضغوط المتناقضة هو " التراجع نحو الاسلام "، وقد عبرت عن ذلك مظاهرات قامت بها نساء مختمرات بشكل متزمت أثناء التحريك الكبير". وأعلنت تبارى أن هذا الرد كان يتناقض بشكل واضح مع موقف النساء اللاتى ينتمين الى عائلات كانت جزءا من الطبقة المتوسطة الجديدة لمدة جيلين أو ثلاثة

أجيال، واللاتى رفضن ارتـداء الحجـاب وانضـممن الـى الليبراليين أو اليساريين [٢٩] . وفى أفغانستان يلاحظ روى:

" ولدت الرؤية الاسلامية بين القطاعات الحديثة مـن المجتمع وتطورت من انتقاد الحركة الشعبوية التى سـبقتها.. ان الاسلاميين مثقفون، ونتاج لأحدث بقاع المجتمع التقليدى، وأصولهم الاجتماعية هى مـا اصـطلحنا علـى تسـميتها ببرجوازية الدولة - وهم نتاج نظام التعليم الحكـومى الـذى يؤدى فقط الى التوظف فى آلة الدولة.. ان الاسلاميين نتـاج النظام التعليمى للدولة. وقليل جدا منهم حصوا على تعلـيمهم فى مجال الفنون. وفى ساحة الجامعة، يختلط معظمهم مـع الشيوعيين، الذين يتعارضون معهـم بعنـف، فضـلا عـن اختلافهم مع العلماء(المتدينين الاكاديمين) الـذين يحملـون

---

(٢٩) أ تباري، الإسلام والنضال من أجل تحرر النساء الإيرانيات، في أ. تباري و ن . يجانه، في ظـل الإسـلام، الحركة النسائية في إيران.

نحوهم شعورا متناقضا. فهـم يشـتركون فـى كثيـر مـن المعتقدات مع العلماء، ولكن الفكر الاسلامى تطور من خلال الاتصال بالايديولوجيات الغربية الكبرى، التى يـرون أنهـا تشكل مفتاح التطور التكنولوجى للغرب. وبالنسبة لهم، فـان المشكلة هى تطوير أيديولجية سياسية حديثة تكون قاعـدتها الاسلام، ويرون أن ذلك هو السبيل الوحيد لفهم العالم الحديث والوسيلة الافضل لمواجهة الاستعمار الاجنبى". [٣٠]

ان أهم مصدر للتجنيد بالنسبة لجبهة الانقاذ الاسلامية فى الجزائر هو طلبة المدارس الثانوية والجامعات المتحدثون بالعربية (كنقيض للفرنسية)، وذلك القطـاع الواسـع مـن الشباب الذين يرغبون فى التعليم العالى ولكن لم يسـتطيعوا الحصول على مكان بالكليات:

" تجند جبهة الانقاذ الجزائرية أعضاءها من ثـلاث قطاعات من السكان: من طبقة التجار المتوسطين، بالاضافة

---

(٣٠) أ.روي ، المصدر السابق، ص ٦٨- ٦٩.

الى بعض الاغنياء منهم، وشباب العاطلين الذين حرموا مـن التعليم العالى، ويشكلون حثالة البروليتاريـا الجديـدة فـى الشوارع، ومن شريحة من المثقفـين المتحـدثين بالعربيـة والمتطلعين لأعلى. والمجموعتان الاخيرتان هما الأكثر عددا وأهمية". [٣١]

لقد بنى المثقفون الاسلاميون مركزهم الاجتماعى من خلال سيطرتهم على كليات اللغة العربية والدراسات الدينيـة فى الجامعات، مستخدمين اياها للسيطرة على وظائف عديدة كأئمة للمساجد ومعلمين فى المـدارس الثانويـة(الليسـيه). ويشكلون شبكة لضمان ندب اسلاميين آخرين فى مثل هـذه الوظائف لغرس الافكار الدينية فى عقول الجيل الجديد مـن الطلاب. وبالتالى يتمكنون من التأثير على عدد هائـل مـن الشباب.

([٣١]) م. الأخنــف وب . بوتيفــو وف. فريجــوس ، المصدر السابق.

ويكتب أحمد روعاديا أن الجماعات الاسلامية بدأت فى النمو من منتصف السبعينات وما بعدها، وتمتعوا بتأييـد الطلاب المتحدثين بالعربية فى الجامعات الذين تسبب عـدم تمكنهم من الفرنسية فى حرمانهم من الحصول على وظائف فى الادارة، ومجالات التكنولوجيا المتقدمة والادارة العليا [٣٢]

. هكذا مثلا، هب صراع مرير مـع رئـيس جامعـة قسطنطين فى منتصف الثمانينات، الذى اتهم بالتشكك فـى " سمو اللغة العربية " و" الولاء للاستعمار الفرنسى " لسـماحه باللغة الفرنسية بالاستمرار كلغة أولى فى الكليات التكنولوجية والعلمية. [٣٣]

" بجد أصحاب المؤهلات من المتحـدثين بالعربيـة صعوبة فى الدخول فى كل القطاعات الهامة، وقبل كل شـئ تلك الصناعات التى تتطلـب المهـارات الفنيـة واللغـات

([٣٢]) أ.روديا، المصدر السابق.

([٣٣]) المصدر السابق.

الاجنبية... ولا يستطيع المتحـدثون بالعربيـة، حتـى وان حصلوا على دراسات عليا، الحصول على مكان فى الصناعة الحديثة. وينتهى غالبيتهم الى التوجه نحو المساجد". [٣٤]

ويشكل الطلاب، من الخريجين الجـدد المتحـدثين بالعربية، والاهم، الطلاب السابقون العاطلون عـن العمـل جسرا الى الاعداد الهائلة من الشباب الساخط خراج الكليات الذين لم يستطيعوا الحصول على أماكن فى الكليـات بـرغم قضاء سنوات فى نظام تعليم فاشل وفقير. هكذا، برغم وجود حوالى مليون طالب الآن فى التعليم الثانوى، يتوقـع أربعـة أخماسهم الرسوب فى الثانوية العامة (البكالوريا) - شـرط دخول الجامعة - ومواجهة حياة غير آمنـة علـى هـامش الوظيفة. [٣٥]

([٣٤]) في ١٩٨٩ مـن ٢٥٠ ألـف تقـدموا لامتحـان البكالوريا لم ينجح إلا ٥٤ ألف فقط، المصدر السـابق ، ص ١٣٧

([٣٥]) المصدر السابق

" تكتسب التوحيدية - أى النظرية الاسلامية - قوتها من السخط الاجتماعى الذى يعانيه جزء كبير من الشـباب، الساقط من حسابات النظام الاجتماعى والاقتصـادى. وهـى تطرح طرحا بسيطا: اذا كان هناك غضب وفقـر ومعانـاه، فالسبب أن من يسيطرون على الساطة لا يلتزمـون بمبـدأ الشورى الشرعية، ولكن يعتمدون على القـوة.. وأن اعـادة تطبيق اسلام السنوات الأولى سوف يقضى على كل أشـكال عدم المساواة". [٣٦]

وبسبب تأثيرها على شريحة واسعة مـن الطـلاب والخريجين والعاطلين عن العمل والمثقفين، تستطيع الرؤيـة الاسلامية أن تنتشر وتسيطر على وسائل الدعاية فى الاكواخ والاحياء القذرة حيث يعيش الفلاحون السابقون. حركة كهذه لا يمكن وصفها بحركة " محافظة ". لأن الشـباب المـتعلم المتحدث بالعربية لا يتجه الى الاسلام لأنه يريـد أن يظـل

([٣٦]) المصدر السابق ص ١٤٦

الوضع كما هو عليه، ولكن لأنه يظن أن الاسـلام يطـرح تغييرا اجتماعيا شاملا. [٣٧]

تطورت الحركة الاسلامية فى مصر بداية منـذ ٦٥ عاما، عندما أسس حسن البنا جماعة الاخوان المسلمين. وقد نمت فى الثلاثينات والاربعينات عندما بدأت فى الانتعاش بعد فشل حزب الوفد الوطنى العلمـانى فـى تحـدى السـيطرة البريطانية على البلاد. تشكلت قاعدة الحركـة أساسـا مـن موظفى الخدمة المدنية والطلاب، وكانت احدى القوى الهامة فى حركات التمرد فى الجامعة فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات. [٣٨] ولكنها انتشرت لتضم اليها بعـض عمـال المدن والفلاحين، بعضوية قدرت بأنها وصلت الـى نصـف مليون. فى سياق بناء الحركة كان البنا على اسـتعداد تـام للتعاون مع شخصيات معينة قريبة من الملكية المصرية، وقد

([٣٧]) المصدر السابق، ص ١٤٧

([٣٨]) أنظر ن. ميتشل، المصدر السابق، ص ١٣.

رأى الجناح اليمينى فى الوفد فى الاخوان المسلمين حركـة مضادة لنفوذ الشيوعيين بين العمال والطلبة. [٣٩]

ولكن الاخوان المسلمين لم يستطيعوا المنافسـة مـع الشيوعيين الا فى الحصول علـى تأييـد فقـراء الطبقـات الوسطى - ومن خلالهم الى قطاعات من فقراء المدن - لأن لغتها الدينية كانت تتضمن تبنيها لاصلاحات أبعد مما يرغب فيه حلفاؤها اليمينيون. وكانت أهدافها لا تتفق اطلاقـا مـع استمرار الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية القائمة والتى كانت الطبقات الحاكمة تدعمها. أكد هـذا علـى " أن العلاقة بين الاخوان المسلمين والحكام المحـافظين سـتكون غير مستقرة وضعيفة جدا". [٤٠]

([٣٩]) أنظر المصدر السابق، ص ٢٧.

([٤٠]) المصدر السابق، ص ٣٨.

وبالفعل، فقد تم تدمير الاخوان تقريبـا بمجـرد أن تركزت السلطة الكاملة فى أيدى النظام العسكرى الجديد الذى قام حول عبد الناصر فى أوائل الخمسينات. فقد أعدم ستة من قادة الأخوان شنقا فى ديسمبر ١٩٥٤ ودفـع بـالآلاف مـن أعضائها الى معسكرات التعـذيب. وأدت محاولـة احيـاء الحركة فى منتصف الستينات الى اعدامات أكثر، ولكن، بعد موت عبد الناصر، سمح لها تابعيه السادات ومبارك بالتواجد بشكل شبه شرعى - على أساس أن تتجنب الجماعة قيادة أى مواجهة ضد النظام. وكانت قيادة ما يطلق عليـه أحيانـا " الاخوان المسلمين الجديد " على استعداد لتقبل هذه الشروط، متبعين رؤية رجعية معتدلة نسبيا، وحصـلوا علـى مبـالغ ضخمة من الاموال من أعضاء تم ترحيلهم الى السعودية فى الخمسينات وحققوا رخاء ماديا من البترول. (٤١) وقد مكـن

---

(٤١) م. حسين، الراديكالية الإسلامية كحركة سياسـية احتجاجية، في ن. السـعداوي، ش. حتاتـة، س. صـفوت، الأصولية الإسلامية (لندن، ١٩٨٩).

ذلك الاخوان من طرح " نموذج بديل للدولـة الاسـلامية"، "ببنوكهم وخدماتهم الاجتماعية والتعليمية، ومساجدهم ". [٤٢]

ولكن ذلك أدى أيضا الى فقدهم لسيطرتهم على الجيل الجديد من الراديكاليين الاسلاميين الذين نشأوا، كمـا نشـأ الاخوان أنفسهم فى الاصل، فى الجامعات والقطاع الفقير من " الطبقة الوسطى الحديثة ". هؤلاء هم الاسـلاميون الـذين قاموا باغتيال السادات فى ١٩٨١ ويشعلون الكفاح المسـلح منذ ذاك ضد كل من الدولة والانتليجنتسيا العلمانية:

" عندما نتحدث عن الاصوليين فى مصـر، نعنـى جماعة قليلة من الناس المعارضين حتى للاخوان المسلمين.. هذه الجماعات تتكون أساسا من الشباب. وهم شديدى النقاء، مستعدون للتضحية بحياتهم، وعمل أى شـئ. ويسـتخدمون

---

(٤٢) المصدر السابق.

كقوة ضاربة لحركات مختلفة لانهم قـادرون علـى القيـام بالعمليات الارهابية." [٤٣]

شكلت تنظيمات الطلاب المسلمين، التـى أصـبحت القوة الاولى فى الجامعات المصرية أثناء رئاسة السـادات " المنظمات الجماهيرية الحقيقية الوحيدة للحركات الاسلامية ". [٤٤] وقد تزايدت كرد فعـل للظـروف داخـل الجامعـات والمستقبل البائس الذى يواجه الطلاب اذا تخرجوا:

" ارتفع عدد الطلاب من أقل مـن ٢٠٠٠٠٠ فـى ١٩٧٠ الى أكثر من نصف مليون فى ١٩٧٧.. وفى غيـاب الموارد الضرورية، أدى توفير التعليم العالى المجانى لأكبر عدد ممكن من شباب البلاد الى تدهور نظام التعليم ". [٤٥]

([٤٣]) ش. حتاتة، العلاقات بين الغرب والشرق، في ن. السعداوي.. المصدر السابق.

([٤٤]) ج. كيبل، المصدر السابق، ص١٢٩.

([٤٥]) المصدر السابق، ص ١٣٧

ويمثل الزحام مشـكلة، خاصـة للطالبـات اللاتـى يتعرضن لكافة أشكال المضايقات فى قاعـات المحاضـرات والاتوبيسات المزدحمة. واستجابة لهذا الموقف:

" حازت الجماعة الاسلامية قوتها الهائلة من خـلال قدرتها على تفهم (هذه المشكلات) وطرح حلول فوريـة - مثلا، استخدام أرصدة اتحاد الطلاب لتشغيل خطـوط مينـى باص للطالبات(مع أولوية الطالبات اللاتى يرتدين الحجاب)، الدعوة الى الفصل بـين البنـات والشـباب فـى قاعـات المحاضرات، تنظيم مجموعات مراجعة للمناهج تتقابل فـى المساجد، اصدار طبعات رخيصة للكتب الضرورية ". [٤٦]

وحتى الخريجون لم يستطيعوا الافلات من البـؤس المزمن لغالبية المجتمع المصرى:

([٤٦]) المصدر السابق، ص ١٤٣ – ١٤٤

" لكل خريج الحق فى الحصول على وظيفة عامـة. هذا الاجراء بالفعل هو مصدر البطالـة المقنعةالهائلـة فـى مكاتب الجهاز الادارة المتضخم، الذى يتقاضى فيه الموظفون مرتبات ضعيفة جدا.. ويستطيع الموظف الحصـول علـى طعامه من خلال شراء المنتجات المدعومة من الدولة، ولكنه من غير المحتمل أن يرتفع فوق الحد الادنى للبقاء... وغالبا ما يكون لكل موظف فى الدولة عمـل ثـانى أو ثالـث... ويقضى عدد لايحصى من الموظفين فـى الدولـة، الـذين يجلسون فى الصباح على المكاتب فى واحدة أو أخرى مـن الوزارات العديدة، وقت الظهر فى العمل كسباكين أو سائقى تاكسى، هى أعمال يؤدونها بصورة غير كاملة ربما يشـغلها أيضا غير المتعلمين. ان الفلاحة الأمية التى تأتى الى المدينة لتعمل كخادمة للأجانب يدفع لها أقل أو أكثر مـن ضـعف راتب معيد فى الجامعة". [٤٧]

---

(٤٧) المصدر السابق، ص ٨٥

ان الطريق الوحيد للخروج من هذه المعضلة بالنسبة لمعظم الخريجين هو الحصول على عمل فى الخارج، خاصة فى السعودية أو دول الخليج. وليست هذه فقط هى الطريقـة الوحيدة للتخاص من البؤس، بل انها بالنسبة لمعظـم النـاس الشرط المسبق للزواج فى مجتمع حيث العلاقات الجنسية قبل الزواج نادرة.

استطاع الاسلاميون التعبيرعن هذه المشكلات بلغـة دينية. وكما كتب كيبل عن أحد أعضاء الجماعات الاسلامية، ان موقفه لا يتضمن" التجرك كمتعصب للقرون الماضـية.. فهو يضع يده - بطريقته الخاصة - على مشكلة ملحة مـن مشكلات المجتمع المصرى الحديث. (٤٨)

وكما حدث فى الجزائر، بمجرد أن أقام الاسـلاميون قاعدة جماهيرية فى الجامعات، أصبحوا بعد ذلك فى موقـف يمكنهم من الانتشار فى محيط أوسع - فى شـوارع المـدن

---

(٤٨) المصدر السابق، ص ٩٥- ٩٦.

البائسة حيث يختلط الطلاب والخريجون مع جمهور آخر من الساعين الى كسب العيش. حدث ذلك بعد أن أحكـم النظـام قبضته بقوة على الحركة الاسلامية فى الجامعات فى أعقاب المفاوضات حول اتفاقية السلام مع اسـرائيل فـى أواخـر السبعينات. "فمع ذلك، بدلا من أن يتوقف نشـاط الجماعـة، منحهم هذا القمع دفعة ثانية... وبدأت رؤية الجماعـة فـى الانتشار وراء عالم الطلاب. وذهبـت الكـوادر الاسـلامية والدعاة للدعوة فى المناطق الفقيرة المجاورة". [٤٩]

الاسلام الراديكالى كحركة اجتماعية:

ان القاعدة الطبيقة للحركة الاسلامية هى نفس القاعـدة الطبيقية للحركة الفاشية الكلاسيكية، والاصـولية الهندوسـية وحركة شيف سينا فى الهند، حيث جندت كل هذه الحركـات

([٤٩]) المصدر السابق، ص١٤٩.

اعضاءها من ابناء الطبقة الوسطى ذوى الياقـات البيضـاء والطلاب، وكذلك من البرجوازية الصغيرة المهنية والتجارية التقليدية.أدى ذلك، بالاضافة الى عـداء معظـم الحركـات الاسلامية لليسار، وحقوق المرأة والعلمانية، الى أن يسـمى كثير من الاشتراكيين والليبراليين هذه الحركات بالفاشـية. ولكن ذلك خطأ.

ليست الفاشية وحدها التى تقوم على أساس طبقى من البرجوازية الصغيرة، لقد كان ذلـك أيضـا أحـد ملامـح اليعقوبية، والعالم ثالثية، والستالينية الماوية، والبيرونية. ولا تصبح حركات البرجوازية الصغيرة فاشية الا عندما تصـعد عند نقطة معينة من الصراع الطبقى، وتلعب فيه دورا معينا. ولا يقتصر هذا الدور على تحريك البرجوازية الصغيرة فقط، ولكن استغلال شعورهم بالمرارة بسبب ما تسببه لهم أزمـة حادة فى النظام ثم تشكيلهم فى عصـابات منظمـة مسـتعدة للعمل فى خدمة رأس المال لتدمير المنظمات العمالية.

لذلك كانت حركتى موسولينى وهتلر فاشـية بينمـا، لنقل، حركة بيرون فى الارجنتين لم تكن كـذلك. بـرغم أن

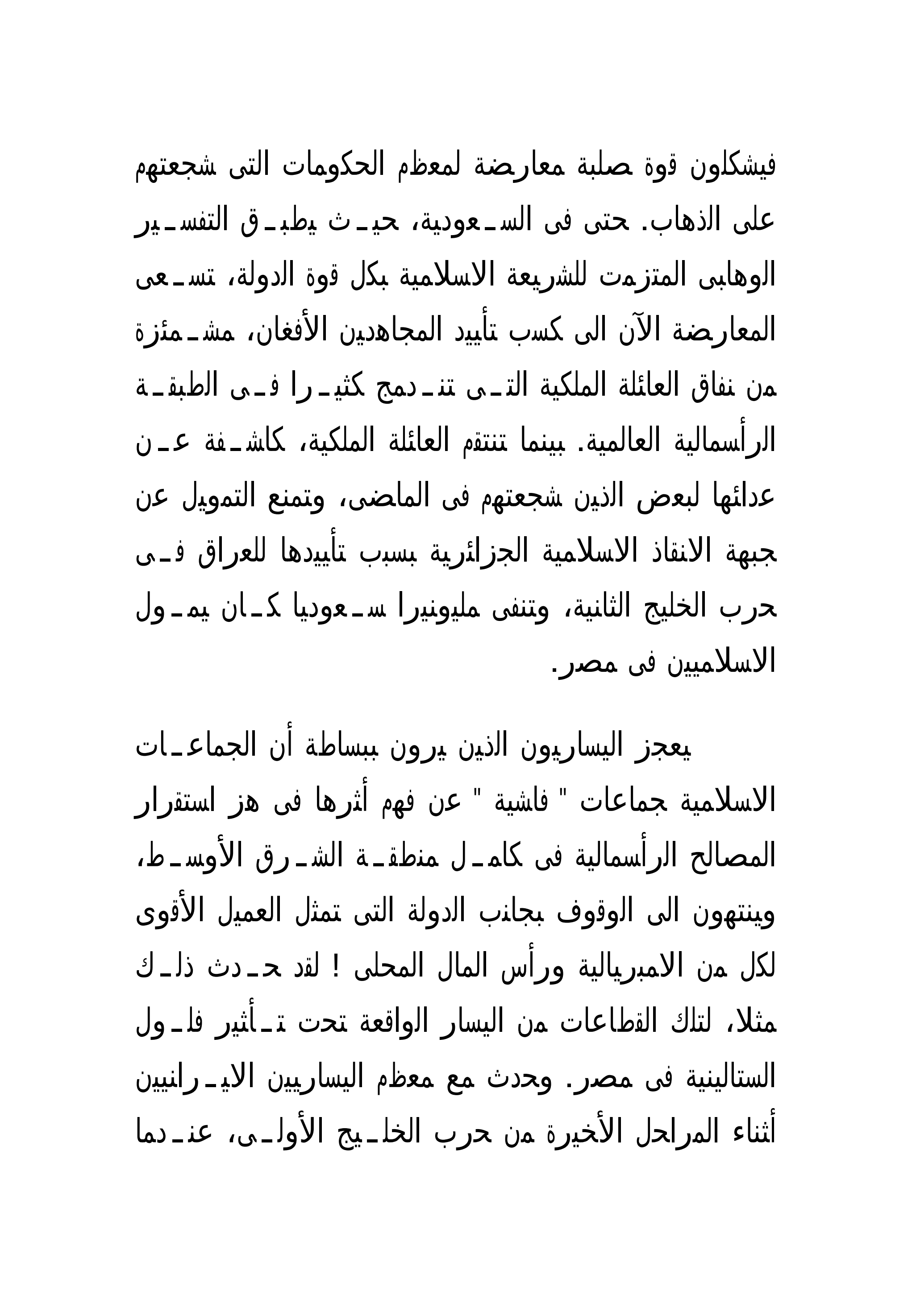
بيرون قد استعار بعض مظاهر الفاشية، فقد اسـتولى علـى السلطة فى ظروف استثنائية سمحت له بشـراء المنظمـات العمالية بينما حول أرباح كبار الرأسماليين العقـاريين الـى الصناعة باستخدام اسلوب تدخل الدولة. وأثناء السنوات الستة الاولى من حكمه سمحت بعض الظروف بارتفـاع الأجـور الحقيقيى بنسبة بلغت حوالى ٦٠%. كـان مـن الممكـن أن يحدث العكس تماما اذا ما حدث هذا فى ظل نظـام فاشـى حقيقى. وبرغم ذلك ظلت الانتليجنتسيا الليبرالية، والحـزب الشيوعى الارجنتينى، يطلقون على النظام " بيروني نازى "، بنفس الطريقة التى يتعمد غالبا كثير من اليسـاريين تسـمية الحركة الاسلامية اليوم بالفاشية. [٥٠]

---

(٥٠) لتحليل تلك الفترة أنظـر مـثلا، ا. دابـات و ل. لـورنزو ، Conflicto Malvinense Crisis Nacional (المكسيك ١٩٨٢) ص ٤٦ - ٤٨.

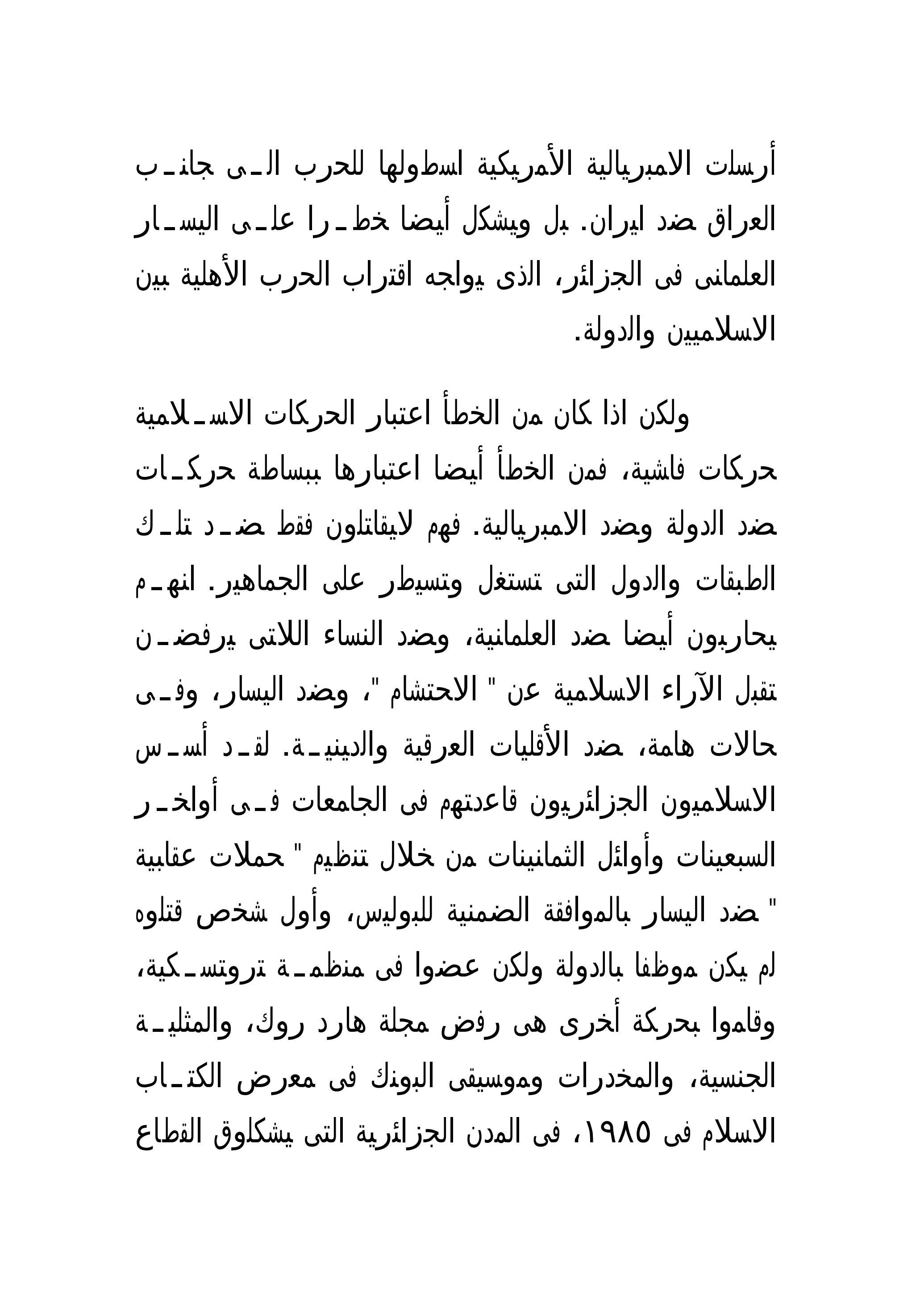
وبالمثل، تلعب الحركة الاسلامية الجماهيرية فى بلاد مثل مصر والجزائر دورا مختلفا عن دور الفاشية. فهـى لا تتوجه بالأساس ضد المنظمات العمالية، ولا تطـرح نفسـها على القطاعات الرئيسية لرأس المال كوسيلة لحل مشـكلاتها على حساب العمال. انها فى الأغلب تشترك فـى مواجهـة عسكرية مباشرة مع قوات الدولة بطريقة نادرا مـا كانـت الاحزاب الفاشية تخوضها. وبـدلا مـن أن تكـون وكـلاء للامبريالية، رفعت هذه الحركات شعارات ضد الامبرياليـة ونفذت بعض العمليات المعادية للامبريالية أربكت مؤسسات رأسمالية عالمية وقومية هامة (فى الجزائر، الموقـف مـن حرب الخليج الثانية، فى مصر، ضد السلام مع اسرائيل، فى ايران، ضد الوجود الأمريكى فى أعقاب الاطاحة بالشاه).

استطاع جهاز المخابرات الامريكيـة التعـاون مـع مثقفى باكستان ودول الشرق الاوسط الموالية للغرب لتسليح آلاف من المتطوعين من منطقة الشرق الاوسط للحرب ضد الروس فى أفغانستان. ولكن يعود هؤلاء المتطوعـون الآن الى الوطن ليكتشفوا أنهم كانوا يحاربون من أجل الولايـات المتحدة بينما كانوا يعتقدون أنهم يحاربون من أجل الاسلام،



فيشكلون قوة صلبة معارضة لمعظم الحكومات التى شجعتهم على الذهاب. حتى فى السـعودية، حيـث يطبـق التفسـير الوهابى المتزمت للشريعة الاسلامية بكل قوة الدولة، تسـعى المعارضة الآن الى كسب تأييد المجاهدين الأفغان، مشـمئزة من نفاق العائلة الملكية التـى تنـدمج كثيـرا فـى الطبقـة الرأسمالية العالمية. بينما تنتقم العائلة الملكية، كاشـفة عـن عدائها لبعض الذين شجعتهم فى الماضى، وتمنع التمويل عن جبهة الانقاذ الاسلامية الجزائرية بسبب تأييدها للعراق فـى حرب الخليج الثانية، وتنفى مليونيرا سـعوديا كـان يمـول الاسلاميين فى مصر.

يعجز اليساريون الذين يرون ببساطة أن الجماعـات الاسلامية جماعات " فاشية " عن فهم أثرها فى هز استقرار المصالح الرأسمالية فى كامـل منطقـة الشـرق الأوسـط، وينتهون الى الوقوف بجانب الدولة التى تمثل العميل الأقوى لكل من الامبريالية ورأس المال المحلى ! لقد حـدث ذلـك مثلا، لتلك القطاعات من اليسار الواقعة تحت تـأثير فلـول الستالينية فى مصر. وحدث مع معظم اليساريين الايـرانيين أثناء المراحل الأخيرة من حرب الخلـيج الأولـى، عنـدما



أرسلت الامبريالية الأمريكية اسطولها للحرب الى جانب العراق ضد ايران. بل ويشكل أيضا خطرا على اليسار العلمانى فى الجزائر، الذى يواجه اقتراب الحرب الأهلية بين الاسلاميين والدولة.

ولكن اذا كان من الخطأ اعتبار الحركات الاسلامية حركات فاشية، فمن الخطأ أيضا اعتبارها ببساطة حركات ضد الدولة وضد الامبريالية. فهم لايقاتلون فقط ضد تلك الطبقات والدول التى تستغل وتسيطر على الجماهير. انهم يحاربون أيضا ضد العلمانية، وضد النساء اللاتى يرفضن تقبل الآراء الاسلامية عن " الاحتشام "، وضد اليسار، وفى حالات هامة، ضد الأقليات العرقية والدينية. لقد أسس الاسلاميون الجزائريون قاعدتهم فى الجامعات فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات من خلال تنظيم " حملات عقابية " ضد اليسار بالموافقة الضمنية للبوليس، وأول شخص قتلوه لم يكن موظفا بالدولة ولكن عضوا فى منظمة تروتسكية، وقاموا بحركة أخرى هى رفض مجلة هارد روك، والمثلية الجنسية، والمخدرات وموسيقى البونك فى معرض الكتاب الاسلام فى ١٩٨٥، فى المدن الجزائرية التى يشكلوق القطاع

الأقوى فيها، ويقومون بتنظيم هجوم فعلى على النساء اللاتى يجرؤن على كشف جزء من أجسادهن، وقد كانت المظاهرة العلنية الاولى لجبهة الانقاذ الجزائرية فى ١٩٨٩ ردا علـى مظاهرات " العلمانيين " و" النسويين " ضد العنف الاسلامى، الذى كانت النساء أولى ضحاياه.[51] ان عـداء الحركـة الاسلامية لا يتجه فقط ضد الدولة ورأس المـال الاجنبـى، ولكن ايضا ضد أكثر من مليون مواطن جزائرى لـم يكـن خطأهم أنهم تربوا على الفرنسية كلغـتهم الأولـى، وكـذلك ١٠% من السكان البربر الذين لا يتحدثون العربية.

وكذلك فى مصر، تقتل الجماعات الاسلامية المسلحة العلمانيين والاسلاميين الذين يختلفون معهـم بشـكل حـاد، ويحفزون المسلمين على كراهية و، ضمنيا، تطهيـر ١٠% من السكان تصادف أن يكونوا مسيحيين أقباط. وفى ايـران أعدم جناح الخومينى فى الحركة الاسـلامية حـوالى ١٠٠

([51]) ٥١- م. الأحنف وآخرين ، المصدر السابق.

شخص " بتهم جنسية " مثل المثلية الجنسـية، والزنـا فـى ١٩٧٩-١٩٨١، وطردوا النساء من النظام القضائى، ونظموا عصابات اجرامية - حزب ا الايرانى - لمهاجمة النسـاء المتبرجات ومهاجمة الجناح اليسارى، وقتلـوا الآلاف فـى حملة لقمع مجاهدى الشعب الاسـلامى اليسـاريين. وفـى أفغانستان، حولت المظمات الاسلامية، التى أشـعلت حربـا دموية طويلة ضد الاحتلال الروسى لبلادهم، أسلحتهم الثقيلـة نحو بعضهم البعض بمجرد رحيل الروس، محولين منـاطق بكاملها فى كابول الى حطام.

_ فى الواقع، وبرغم أن الاسـلاميين يؤكـدون علـى معاداتهم للامبريالية الا أنهم غالبا ما يتخلون عن مواجهتها. لأن امبريالية اليوم عادة ما لا تكون السيطرة المباشرة لدول الغرب على أجزاء من العالم الثالث، ولكن نظاما عالميا من الطبقات الرأسمالية المستقلة (الخاصة والدولة) تندمج فـى سوق عالمى واحد. وبعض الطبقات الحاكمة تمتلك قوة أكبر من الاخرى ولذلك تكون قادرة على فرض شروطهاالخاصة فى المعاملات من خلال سيطرتها علـى منافـذ التجـارة، والنظام البنكى، أ وأحيانا، استخدام القـوة السـافرة. وهـذه

الطبقات الحاكمة تقف على قمة هرم الاستغلال، ولكن تلك الطبقات التى تليها مباشرة هى الطبقات الحاكمة للبلاد الفقيرة، التى تعمل فى الاقتصاديات القومية المنفصلة، وتستفيد أيضا من النظام، وتربط نفسها باستمرار بالشبكات المتعددة النجنسية المسيطرة وتعمل داخل اقتصاديات العالم المتقدم، حتى وان كانوا أحيانا أخرى يهاجمون من هم فوقهم.

ان معاناة الغالبية العظمى من الناس لا يمكن ببساطة ارجاعها الى القوى الامبريالية العظمى ووكلائها مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى. انها أيضا تنتج عن المشاركة النشطة فى الاستغلال من الرأسماليين الأصغر ودولتهم. هؤلاء هم الذين يطبقون السياسات الفعلية التى تؤدى الى افقار الناس وتدمير حياتهم. وهم أيضا الذين يستخدمون البوليس للقضاء على من يحاولون المقاومة.

وهنا يوجد فرق مهم عما حدث فى ظل الامبريالية الكلاسيكية للامبراطوريات الاستعمارية، حيث سيطر المستعمرون بأنفسهم على الدولة وأداروا عملية القمع. فى تلك الحالة، كانت الطبقات المستغلة المحلية مشتتة بين

اتجاهين، بين مقاومة الدولة عندما تضر بمصالحها، والتعاون معها كحماية لها ضد من تستغلهم. ولكنها لم تكن بالضرورة فى الصف الاول ضمن المدافعين عن النسق الكامل لعمليـة الاستغلال ضد الثورة. ولكنها الآن كذلك. فهى جـزء مـن النظام - حتى وان كانت أحيانا تدخل فى خلافات معه. ولـم تعد المعارض المتذبذب له. [٥٢]

---

(٥٢) يفشل مقال ف. مارشال – المفيد فيما عـدا ذلـك : الأصـولية الإسلامية – الاضطهاد والثورة (في الاشتراكية الأممية ، ٤٠) لأنه لا يميز بين معاداة الإمبريالية الصغيرة التي تواجه أنظمة دول رأسـمالية مستقلة ومندمجة في النظام العالمي. فقد كان كل تركيزه يقع على الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الحركات في التعبيـر عـن الصـراع ضـد الإمبريالية ، وهو هنا يتجاهل أن الدولة المحلية والبرجوازية المحليـة عادة ما تكون العامل المباشر للاستغلال والاضطهاد في العالم الثالث، اليوم وهو شئ تدركه لدرجة على الأقـل بعـض تيـارات الإسـلام الراديكالي. وهو يفشل أيضا في أن يرى أن حركات أخرى سـابقة – ==البيرونية مثلا، تستخدم هذه الشعارات حـول الإمبرياليـة لتبريـر الصفقات التي ستبرمها مستقبلا مع الدولة المحلية والطبقـة الحاكمـة، وفي نفس الوقت تقوم تلك القيادات بتوجيه الغضب في اتجاه غضـبات ضد الأقليات التي يصفونها بعملاء " الإمبرالية الثقافيـة". يخطـئ إذا

فى هذه الحالة، فان أى أيديولوجية تقصر نفسها على مقاومة الامبريالية الاجنبية كعدو أوحد، تتجنب أى مواجهـة حادة مع النظام. فهى تعبر عن معانـاة النـاس وغضـبهم، ولكنها تتجنب توجيههم الى أعدائهم الحقيقيين. وهـذه هـى حقيقة معظم الرؤى الاسلامية، تماما كما أنها حقيقة معظـم الرؤى القومية فى العالم الثالث فى الوقـت الحـالى. انهـم

مارشال في طرحه أن الماركسيين الثويين يجب أن يكون موقفهم تجاه الحركة هو نفس الموقف الذي طوره الكومنترن قبل السـتالينية تجـاه الحركات الصاعدة المعادية للاستعمار في أوائل العشرينات. يجب علينا بالطبع أن نتعلم من الكومنرن في بداياته أنه يمكننا أن نكون على نفس الجانب مع حركات طالما حاربت الإمبريالية وفي نفس الوقت نختلـف مع سياستها واستراتيجيتها وتكتيكها، ونحاول الإطاحة بقياداتها. ولكـن هذا لا يعني على الإطلاق أن نقول أن الحركات الإسلامية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة في التسعينات هي نفسـها الحركـات المعاديـة للاستعمار في العشرينات. و إلا سقطنا فينفس الخطـأ الـذي ارتكبـه اليسار في بلدان مثل الأرجنتين خلال الستينات والسبعينيات حين أيـد وطنية البرجوازية بحجة أنهم يعيشون في دول شبه مستعمرة.

يشيرون الى عدو أساسـى، أى النظـام العـالمى، وأحيانـا يصطدمون بقوة مع الدولة. ولكنهم يبرئون غالبية البرجوازية المحلية من المسئولية - وهى أهم حليف للامبرياليـة علـى المدى الطويل.

وتقارن دراسة حديثة للخومينية قام بها ابراهيميـان بين الحركة الاسلامية وبين البيرونية والاشكال المماثلة مـن 'الشعبوية':

" تبنى الخومينى نظريات راديكالية... وأحيانا ما بدا أكثر راديكالية من الماركسيين. ولكن بينما كان يتبنـى رؤى راديكالية استمر مخلصا فى تحمل مسـئولية الحفـاظ علـى ملكية الطبقة الوسطى. هذا الشكل مـن راديكاليـة الطبقـة الوسطى جعله مشابها للشعبويين فى أمريكا اللاتينية، خاصة البيرونيين". [٥٣]

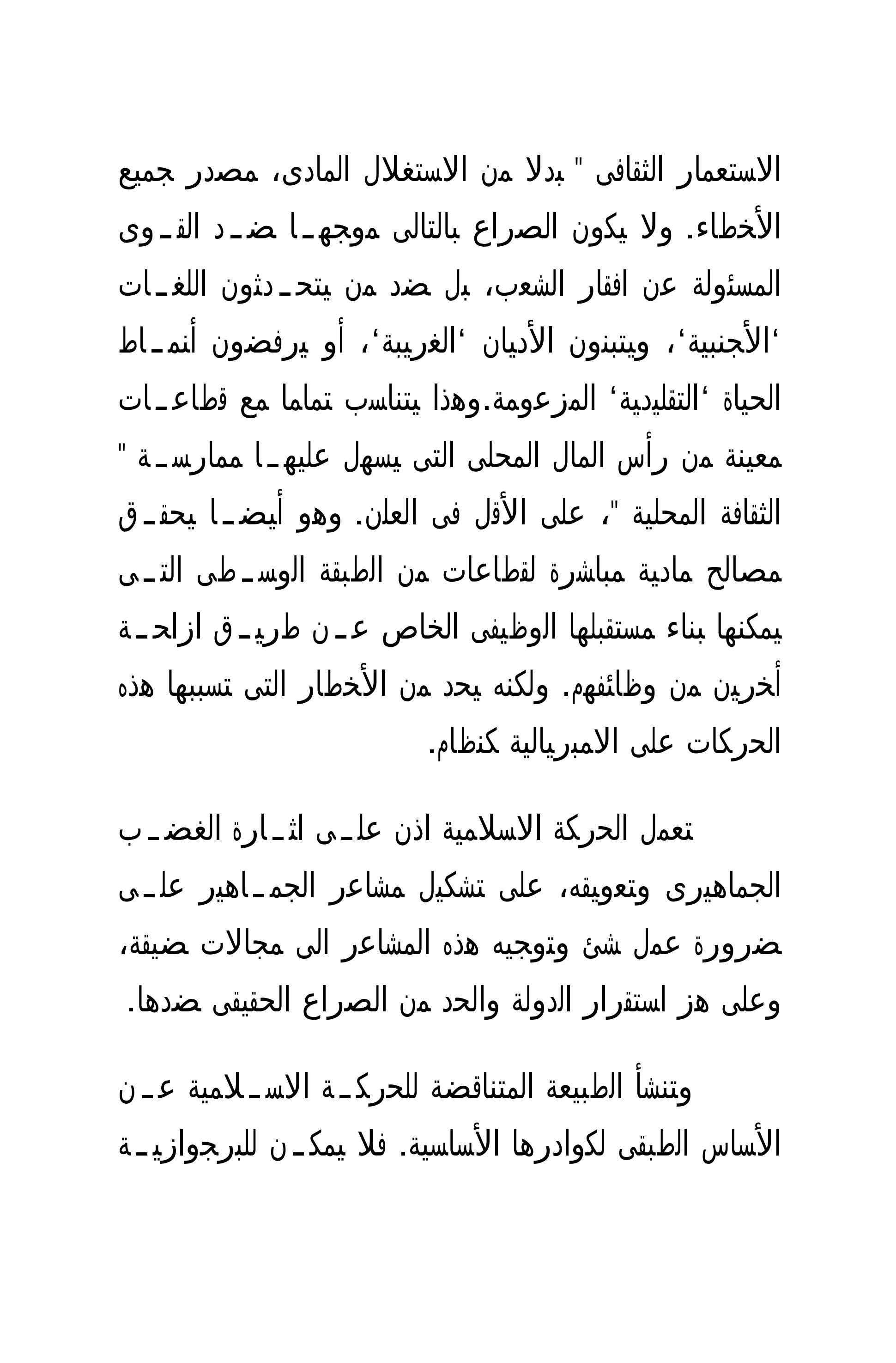
([٥٣]) أ . ابرا هامين، الخومينية، المصدر السابق، ص ٣.

ويسترسل ابراهيميان فيقول:

" أعنى " بالشـعبوية " حركـة تقـوم بهـا الطبقـة المتوسطة المالكة تحرك الطبقات الأدنـى، خاصـة فقـراء الحضر، بشعارات راديكاليـة موجهـة ضـد الامبرياليـة، والرأسمالية الأجنبية، والمؤسسة السياسية.. وتعد الحركـات الشعبوية برفع مستويات المعيشة بصورة كبيرة وجعل البلاد مستقلة تماما عن القوى الخارجية. بل أنها تمتنع عمدا عـن تهديد البرجوازية الصغيرة ومبدأ الملكية الخاصة، وهذا أهم بالنسبة لها من مهاجمة الاوضاع القائمة بخطابة راديكاليـة. هكذا تؤكد الحركات الشعبوية بالضرورة على أهمية اعـادة البناء الثقافى والقومى والسياسـى، ولـيس أهميـة الثـورة الاقتصادية والاجتماعية". [٥٤]

تتجه هذه الحركات الى الخلط بين الامور من خلال التحول عن أى صراع حقيقى ضد الامبريالية الـى صـراع أيديولوجى خالص ضد ما يرونه آثارها الثقافيـة. وتعتبـر "

([٥٤]) المصدر السابق، ص ١٧



الاستعمار الثقافى " بدلا من الاستغلال المادى، مصدر جميع الأخطاء. ولا يكون الصراع بالتالى موجهـا ضـد القـوى المسئولة عن افقار الشعب، بل ضد من يتحـدثون اللغـات 'الأجنبية'، ويتبنون الأديان 'الغريبة'، أو يرفضون أنمـاط الحياة 'التقليدية' المزعومة.وهذا يتناسب تماما مع قطاعـات معينة من رأس المال المحلى التى يسهل عليهـا ممارسـة " الثقافة المحلية "، على الأقل فى العلن. وهو أيضـا يحقـق مصالح مادية مباشرة لقطاعات من الطبقة الوسـطى التـى يمكنها بناء مستقبلها الوظيفى الخاص عـن طريـق ازاحـة أخرين من وظائفهم. ولكنه يحد من الأخطار التى تسببها هذه الحركات على الامبريالية كنظام.

تعمل الحركة الاسلامية اذن علـى اثـارة الغضـب الجماهيرى وتعويقه، على تشكيل مشاعر الجمـاهير علـى ضرورة عمل شئ وتوجيه هذه المشاعر الى مجالات ضيقة، وعلى هز استقرار الدولة والحد من الصراع الحقيقى ضدها.

وتنشأ الطبيعة المتناقضة للحركـة الاسـلامية عـن الأساس الطبقى لكوادرها الأساسية. فلا يمكـن للبرجوازيـة

الصغيرة كطبقة أن تتبع سياسة متماسكة مستقلة خاصة بها. وكان ذلك صحيحا دائما بالنسبة للبرجوازية الصغيرة التقليدية - أى أصحاب الـورش الصـغيرة، والتجـار والمهنيـين المستقلين. ويسيطر عليها دائما رغبة محافظة فـى الأمـان تتطلع الى الماضى وتأمل فى الافادة بشكل فردى من التغيير الثورى. وهذا بالضبط صحيح أيضا بالنسبة لفقراء الطبقـة المتوسطة الجديدة - أو الأكثر منهم فقرا من العاطلين عـن العمل وخريجى الجامعات والمدارس الثانوية ممن كان يمكن أن يصبحوا أعضاء فى الطبقة المتوسطة الجديدة - فى البلاد المتخلفة اقتصاديا اليوم. ولذلك يحلمون بماض ذهبى مزعوم. أو يرون مستقبلهم مرتبطا بتقدم اجتماعى شامل من خـلال التغيير الثورى. أو يوجهون الاستفزاز الناتج عن تطلعـاتهم الى قطاعات أأخرى من السكان الـذين يسـتحوذون علـى وظائف الطبقة الوسطى بصورة ' غيرعادلة ': أى الأقليات الدينية والعرقية، أو أصحاب لغة مختلفة، أو النسـاء التـى تعمل بطريقة 'غير تقليدية'.

ولا يعتمد تحولهم الى اتجاه ما على عوامـل ماديـة مباشرة فقط. بل يعتمد أيضا على الصراعات التـى تحـدث

على المستوى القومى والعالمى. هكذا أثارت الصراعات ضد الاستعمار والامبريالية فى الخمسينات والستينات كثير مـن الطبقة الوسطى الصاعدة فى العالم الثالث، ونشأ شعور عـام بأن التنمية الموجهة من الدولة تمثل طريق التقدم. وبـدا أن اليسار العلمانى، أو على الأقل التيار القومى أو الســتالينى، كممثل لهذه الرؤية، قد حظى بدرجـة مـن الهيمنـة فـى الجامعات. فى تلك الفترة، حتى أولئك الذين بدأوا بتوجهـات دينية جذبهم ما كان ينظر اليه كيسار - مـن خـلال مثـال الحرب الفيتنامية ضد أميركا أو من خلال ما يدعى بـالثورة الثقافية فى الصين - وبدأوا فـى رفـض الفتـاوى الدينيـة التقليدية، مثل مسألة المرأة. حدث ذلك مع فقـراء التحـرر الكاثوليك فى أمريكا اللاتينية ومجاهدى الشعب فى ايـران. وحتى فى أفغانستان فان الطلبة الاسلاميين،

" تظاهروا ضد الصهيونية أثناء حرب الايام الســتة، وضد السياسات الامريكية فـى فييتنـام ومزايـا المؤسسـة الحاكمة. وقد عارضوا بقوة شخصيات هامة فـى الجانـب التقليدى، وعارضوا الملك وخاصة ابن أخيه داوود.. وثاروا ضد النفوذ الاجنبى فى أفغانستان لكل من الاتحاد الســوفييتى

والغرب، وكذلك ضد المضاربين فى فتـرة المجاعـة عـام ١٩٧٢ من خلال المطالبة بضرورة الرقابة علـى الملكيـة الخاصة." [55]

تغيرت الأحوال فى أواخر السبعينات والثمانينـات. فمن ناحية، بدأت موجة عالمية لفضح ما عـرف بـالنموذج الاشتراكى، مثلا، فى دول أوروبا الشرقية، كنتيجة لحقـول الموت فى كمبوديا، والحرب المحدودة بين الصين وفييتنـام، وتحرك الصين نحو المعسكر الأمريكى. تزايدت حـدة هـذا الفضح فى أواخر الثمانينات كنتيجة للتغيرات فـى أوروبـا الشرقية وسقوط الاتحاد السوفييتى.

حدث ذلك بصورة أعنف بكثير فـى بـلاد شـرق أوسطية معينة من أى مكان آخر فى العالم لأن الأوهام لـم تكن مجرد سياسة خارجية. بل كانت الأنظمة المحلية تـدعى أنها تطبق أشكالا وطنية من " الاشتراكية "، تستند بشكل أكثر أو أقل الى نموذج أوروبا الشرقية. حتى أولئـك اليسـاريون

([55]) أ. روي ، المصدر السابق، ص ٧١.

الذين انتقدوا حكوماتهم مـالوا الـى قبـول وتمثـل تلـك الادعاءات. فقد تطوع يسار الجامعات فى الجزائر فى أوائل السبعينات للذهاب الى الريف والمسـاعدة فـى "الاصـلاح الزراعى"، برغم أن النظام اضطهد منظمة الطلاب اليساريين وأبقى على سيطرة البوليس على الجامعات. وفى مصر أصر الشيوعيون على اعلان أن عبد الناصر كان اشتراكيا، حتـى بعد أن ألقى بهم فى السجن.

ومن ناحية أخرى، كان ظهور دول اسلامية معينـة كقوة سياسية - أى سيطرة القذافى على السلطة فـى ليبيـا، قيادة السعودية للحظر البترولى ضد الغرب فى وقت الحرب العربية الاسرائيلية فى ١٩٧٣، وبعد ذلك، مـا هـو أهـم، التأسيس الثورى لجمهورية ايران الاسلامية فى ١٩٧٩.

بدأت الحركة الاسلامية فى الانتشار بـين الشـرائح الأساسية من الطلبة والشباب الذين تطلعوا يومـا مـا الـى

اليسار: ففى الجزائر، مثلا، " بدأ ينظر الى الخومينى من قبل الشرائح الشابة كما كان ينظر الى ماو وجيفارا يوما ما". [٥٦]

وتزايدت شعبية الحركة الاسلامية قوة بعد قوة حيـث بدا أنهم يطرحون تغييرا ثوريا وعاجلا. فقد كان قادة الحركة الاسلامية منتصرين.

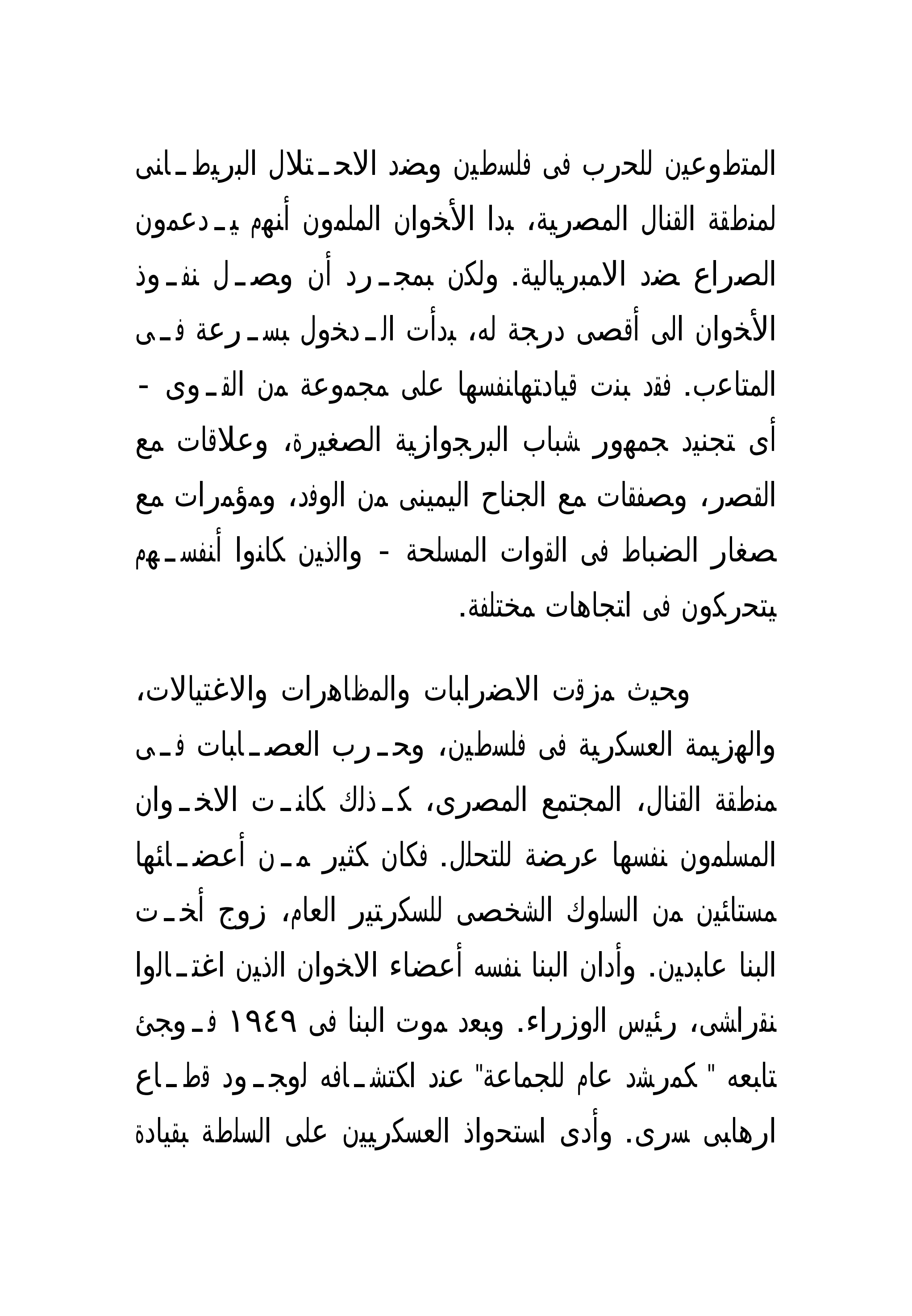
وبرغم ذلك لم تختفى تناقضات الحركة الاسـلامية، بل عبرت عن نفسها بقوة فى العقد التالى. وبدلا من أن تكون قوة لا تتوقف، كانت الحركة الاسلامية فى الواقـع عرضـة لضغوطها الداخلية التى دفعت أتباعهـا بصـورة متكـررة للتحول ضد بعضهم البعض. وتماما كما كان تاريخ الستالينية فى الشرق الأوسط تاريخ فشل وخيانات وانشقاقات وقمـع، كذلك كـان تـاريخ الحركـة الاسـلامية فـى الثمانينـات والتسعينات.

([٥٦]) م. الأحنف وآخرين ، المصدر السابق ص ٢٦- ٢٧.

تناقضات الحركة الاسلامية فى مصر:

تعبر الطبيعة المتناقضة للحركة الاسلامية عن نفسها فى الطريقة التى تفهم بها تطبيق "العودة الـى القـرآن". فمـن الممكن أن ترى ذلك من خلال اصـلاح ' قـيم ' المجتمـع القائم، قاصدة ببساطة العودة الى الممارسات الدينيـة، بينمـا تترك الأبنية الرئيسية للمجتمع كما هى. أو من الممكـن أن تعنى الاطاحة الثورية بالمجتمع القائم. ويمكن ملاحظة هـذا التناقض فى تاريخ كل من الأخوان المسلمين الأوائـل فـى مصر فى الثلاثينات والأربعينات والخمسينات وفى الحركـة الاسلامية الراديكالية الجديدة فـى السـبعينات والثمانينـات والتسعينات.

تزايد نمو الأخوان المسلمين بسرعة فى الثلاثينـات والأربعينات حيث جذبت مؤيديها من أولئك الذين زال عنهم الوهم بعد المساومات التى قام بها حـزب الوفـد الـوطنى البرجوازى مع البريطانيين، كما راينا. وقد ساعدها على ذلك تحول اليسار الشيوعى الواقع تحت تأثير سـتالين، والـذى وصل الى حد تأييد الوجود الاسرائيلى. ومن خـلال تجنيـد



المتطوعين للحرب فى فلسطين وضد الاحتلال البريطانى لمنطقة القنال المصرية، بدا الأخوان الملمون أنهم يدعمون الصراع ضد الامبريالية. ولكن بمجرد أن وصل نفوذ الأخوان الى أقصى درجة له، بدأت الدخول بسرعة فى المتاعب. فقد بنت قيادتهانفسها على مجموعة من القوى - أى تجنيد جمهور شباب البرجوازية الصغيرة، وعلاقات مع القصر، وصفقات مع الجناح اليمينى من الوفد، ومؤمرات مع صغار الضباط فى القوات المسلحة - والذين كانوا أنفسهم يتحركون فى اتجاهات مختلفة.

وحيث مزقت الاضرابات والمظاهرات والاغتيالات، والهزيمة العسكرية فى فلسطين، وحرب العصابات فى منطقة القنال، المجتمع المصرى، كذلك كانت الاخوان المسلمون نفسها عرضة للتحلل. فكان كثير من أعضائها مستائين من السلوك الشخصى للسكرتير العام، زوج أخت البنا عابدين. وأدان البنا نفسه أعضاء الاخوان الذين اغتالوا نقراشى، رئيس الوزراء. وبعد موت البنا فى ١٩٤٩ فوجئ تابعه " كمرشد عام للجماعة" عند اكتشافه لوجود قطاع ارهابى سرى. وأدى استحواذ العسكريين على السلطة بقيادة

عبد الناصر فى ١٩٥٤-٥٢ الى انقسام جوهرى بي أولئـك الذين أيدوا الانقلاب وأولئك الذين عارضوه حتـى انتهـت الجماعات المتصارعة أخيرا فى الاخوان الى العراك المباشر للسيطرة على مكاتبها. ومكن " افتقاد الثقة الكبير فى القيادة " [٥٧] عبد الناصر أخيرا من تحطيم المنظمة التى كانت يوما ما تشكل قوة هائلة. [٥٨]

ولكن افتقاد الثقة لم يكن صـدفة. فقـد نـتج عـن انقسامات لا يمكن تخطيها والتى كانت حتمية الظهـور فـى حركة برجوازية صغيرة مع زيادة عمق الأزمة فى المجتمع. فمن ناحية، كان هناك من يتبنون وجهة نظـر تـدعو الـى استغلال الأزمة لاجبار الطبقات الحاكمة القديمة لعمل صفقة معهم لفرض " القيم الاسلامية " (كـان البنـا نفسـه يحلـم بالاشتراك مع الملكية بتأسيس " خلافة جديدة " وفـى أحـد المناسبات أيد الحكومة فى مقابل وعدها باحكام قبضتها على

([٥٧]) ر. ميتشل المصدر السابق، ص ١٤٥.

([٥٨]) المصدر السابق، ص ١١٦

استهلاك الخمور وعلى الدعارة)؛ [٥٩] ومن ناحية أخـرى، كان هناك أعضاء من البرجوازية الصـغيرة الراديكاليـة الذين يرغبون فى تغيير اجتماعى حقيقى، ولكنهم يفهمون أن امكانية تحقيق ذلك فقط تكون من خلال الصـراع الفـورى المسلح.

استمرت نفس التناقضات تتخلل الحركة الاسـلامية فى مصر اليوم. بدأ الأخوان المسلمون الجـدد فـى العمـل بصورة شبه شرعية حول مجلة الدعوة فى أواخر الستينات، مديرة ظهرها الى أى وجهة نظر تدعو للاطاحـة بالنظـام المصرى. وبدلا من ذلك حددت هدفها فى اصلاح المجتمـع المصرى نحو الخط الاسلامى بواسطة الضغط من الـداخل. ويجب أن تكون المهمة، كما وضعها المرشد العام للاخـوان فى كتاب له من السجن أن يكونوا " دعاة لا قضاة ".[٦٠] كان ذلك يعنى فى الممارسة تبنى اتجـاه " اصـلاح اسـلامى "،

---

(٥٩) المصدر السابق، ص ٤٠.

(٦٠) كتاب لحسن الهضيبي، مذكور في ج. كيبل، المصدر السـابق، ص ٦١.

والسعى للوقوف بجانب نظام السادات.[61] وفـى المقابـل استخدم النظام الاسلاميين للتعامل مع أولئك الذين اعتبـرتهم فى ذلك الوقت أعدائها الرئيسيين - أى اليسـار: " تعامـل النظام بحماس مع الجناح الاصلاحى من الحركات الاسلامية - متجمعا حول مجلته الشهرية " الـدعوة " وفـى أحـواش الجامعات من خلال الجمعيات الاسـلامية - حيـث طهـر الاسلاميون الجامعات من أى شئ فيه رائحة الناصـرية أو الشيوعية ".[62]

اختزت مصـر كلهـا بموجـة مـن الاضـرابات والمظاهرات وأعمال العنف فى ١٣ محافظـة فـى ينـاير ١٩٧٧، ردا على زيادة الدولة لاسعار الخبز وسلع استهلاكية ضرورية أخرى. كانت هذه أكبر انتفاضة فى البلاد منذ ثورة ١٩١٩ الوطنية ضد البريطانيين. أدانت كل من الجمعيـات الاسلامية والاخوان المسلمون الانتفاضة وأرسلوا خطابـات تأييد للدولة ضد ما أسموه " مؤامرة شيوعية ".

([61]) المصدر السابق، ص ٧١.

([62]) المصدر السابق،

فالأهم بالنسبة لهذه " الاصلاحية " الاسـلامية هـو تغيير أخلاقيات المجتمع، بدلا من تغيير المجتمع نفسه. وليس الأهم هو اعادة بناء المجتمع الاسلامى (الأمة) من خـلال تحويل المجتمع، ولكن فرض أشكال معينة من السلوك داخل المجتمع القائم. وعدوها ليس الدولة أو " الطغاة " المحليـين، ولكن قوى خارجية يعتقدون أنها تقضى على القيم الدينيـة - وهى فى نظر "الدعوة " " اليهودية والصليبية " (أى المسحيين بما فيهم الاقباط) و" الشيوعية " و" العلمانيـة ". ويتضـمن الجهاد للتعامل مع هؤلاء صراعا لفرض الشـريعة (النظـام التشريعى الذى يحدده الفقهاء الملمون من القـرآن والتـراث الاسلامى). فهى معركة لدفع الدولة الحالية الى فرض شكل معين من الثقافة على المجتمع، بـدلا مـن كونهـا معركـة للاطاحة بالدولة.

هذا المفهوم يتفـق جيـدا مـع رغبـات الطبقـات الاجتماعية التقليدية الذين يؤيدون نموذجا معينا من الحركـة الاسلامية (بقايا طبقة ملاك الأراضى القديمة والتجار)، ومع أولئك الذين كانوا يوما ما شباب اسلامى راديكـالى ولكـنهم استقروا الآن (بسبب الثراء فى السـعودية أو الترقـى الـى

مواقع مريحة داخل مهنيي الطبقة الوسـطى) ومـع أولئـك الاسلاميين الراديكاليين الذين يئسوا من التغيير الاجتمـاعى الراديكالى عندما ووجهوا باضطهاد الدولة لهم.

ولكنه لا يتناسب على الاطلاق مع التطلعات العنيفـة لجماهير الطلاب والخـريجين الفقـراء، أو مـع جمـاهير الفلاحين السابقين الذين يختلطون بالاجزاء الفقيرة فى المدن. فينجذبون بسهولة الى رؤى أكثر راديكاليـة بكثيـر"لمعنـى العودة الى القرآن" - رؤى لا تهاجم فقط الآثار الغربية على الدول الاسلامية الحالية، بل أيضا تهاجم هذه الدول نفسها.

هكذا، يعد كتاب " علامـات فـى الطريـق " مـن النصوص الاساسية للاسلاميين فى مصر، كتبه أحد أعضاء الأخوان المسلمين أعدمه عبد الناصر فى ١٩٦٦ وهو سـيد قطب. لم يهاجم هذا الكتاب فقط افلاس الايديولوجيات الغربية والستالينية، ولكنه أيضا يؤكد أن الدولة يمكن أن تدعو نفسها اسلامية وتظل تعتمد على بربرية معادية للاسلام (الجاهلية،

الاسم الذى يطلقة الملمون على مجتمعات ما قبل الاسلام فى الجزيرة العربية). [٦٣]

هذه الاوضاع يمكن تصحيحها فقط بواسطة " طليعة الامة " التى تقوم بثورة من خلال اتباع مثال "الرعيل الاول من المسلمين" [٦٤] - وهو الانسحاب من المجتمع القائم كمـا فعل محمد عندما هاجر من مكة من أجل بناء قوة قادرة على الاطاحة به. ذهبت وجهات النظر هذه الى أبعد من اعتبـار الامبريالية العدو الأوحد، وبدلا من ذلـك، هاجمـت للمـرة الأولى الدولة المحلية مباشرة. وقد أربكت المعتـدلين مـن الاخوان المسلمين الجدد، الذين يفترض أنهم يقدرون مؤلفهم كشهيد. ولكنها شجعت آلاف عديدة من الراديكاليين الشباب. هكذا فى منتصف السبعينات أعـدمت احـدى الجماعـات، التكفير والهجرة التى يقودها شكرى مصطفى بسبب اختطافها أحد موظفى الأوقاف فى ١٩٧٧، التـى تـرفض المجتمـع الحالى كمجتمع " غيراسلامى "، وكذلك المسـاجد الحاليـة،

---

(٦٣) المصدر السابق، ص ٤٤

(٦٤) المصدر السابق، ص ٥٣.

والدعاة الدينيين الحاليين، وحتى الأخوان المسـلمين الجـدد المرتبطين " بالدعوة ".[٦٥] وكانت تعتبر أن أعضاءها فقـط هم المسلمون الحقيقيون ويجب يجب عليهم الانفصـال عـن المجتمع القائم، والعيش فى تجمعات منفصلة والتعامـل مـع الآخرين ككفار.

فى البداية كانت الجمعيات الاسلامية فى الجامعـات واقعة تحت تأثير الأخوان المسلمين المعتدلين، ولم يدينوا فقط الانتفاضة ضد زيادة الأسعار وانما قاموا أيضا بالتعتيم على اعدام شكرى بعد ذلك فى نفس السنة. ولكن بدأت توجهـاتهم فى التحول، خاصة عندما بدأ السادات " عملية السلام " مـع اسرائيل فى اواخر ١٩٧٧. وفورا تبنى كثير من مناضـلى الجامعة أفكارا أكثر راديكالية فى بعض جوانبها من أفكـار شكرى: فلم ينفصلوا فقط عن المجتمع القائم، بل بـدأوا فـى التنظيم للاطاحة به، مثل اغتيال جماعة الجهاد بقيـادة عبـد السلام فراج للسادات فى أكتوبر ١٩٨١.

([٦٥]) للتفاصيل أنظر المصدر السابق، ص ٧٨.

وجه فراج انتقاداته العنيفة بوضوح لاستراتيجيات أجزاء مختلفة من الحركة الاسلامية - تلك القطاعات التى قصرت نفسها على العمل فى المجالات الخيرية الاسلامية، هؤلاء (أى الأخوان المسلمون الجدد) الذين يحاولون بناء الحزب الاسلامى الذى يمكنه فقط أن يضفى الشرعية على الدولة القائمة، والذين يعتمدون على الدعوة ولذلك يتجنبون الجهاد، وهؤلاء الذين يدافعون عن الانسحاب من المجتمع حسب اتجاهات جماعة شكرى، وكذلك الذين يرون أولوية الجهاد ضد الأعداء الخارجيين للاسلام (فى فلسطين وأفغانستان). وأصر على الصراع الفورى المسلح ضد كل هؤلاء، ان "الجهاد ضد الطاغية" واجل كل المسلمين:

" ان الجهاد ضد العدو فى الداخل أولى من الجهاد ضد العدو فى الخارج... فمسئولية وجود الاستعمار أو الامبريالية فى بلادنا الاسلامية تقع على هذه الحكومات

الكافرة. ولذلك يكون الصراع ضد الامبريالية عبثيا وغيـر مشرف، بل مضيعة للوقت".[٦٦]

أدت وجهة نظر فراج مباشرة الى رؤية للتمرد ضد الدولة. ولكن لم يقض هذا على الاختلافات الهامـة داخـل مجموعته بين قطاع القاهرة، الـذى تشـكل حـول الهـدف الأساسى لاسقاط الدولة الكافرة، والقطاع الآخر فى أسـيوط، الذى " اعتبر التنصير المسيحى للمسلمين العقبة الرئيسية أمام انتشار الاسلام ".[٦٧]

كان هذا يعنى فى الممارسـة أن توجـه مجموعـة أسيوط معظم نيرانها ضد الأقلية القبطية (وغـالبيتهم مـن فقراء الفلاحين) - السياسة التى كان طلاب الجامعـة قـد اتبعوها فعلا بنجاح مذهل فى أوائل العام الدراسـى، عنـدما أشعلت حربا أهلية طاحنة بداية فى وسط مصر فى المنيـا، وبعد ذلك فى القاهرة فى الزاوية الحمراء:"لم تتردد الجماعة

---

(٦٦) لشرح تفصيلي لرؤية عبد السلام فرج في كتابه الفريضة الغائبة أنظر المصدر السابق ص ١٩٣-٢٠٢

(٦٧) المصدر السابق، ص ٢٠٨

فى اشعال نيران العنف الطائفى حتى تضع الدولة فى موقف حرج وتبين أنها مستعدة للحلول محل الدولة، ولنقل، خطـوة خطوة. [68]

كنت جماعة الجهاد فى أسـيوط اذن تتبـع سياسـة مجربة وناجحة لكسب تأييد شعبى محلى من خـلال اثـارة الأحقاد الطائفية. مكنها ذلك بسرعة من السيطرة على أسيوط فى أعقاب اغتيال السادات. وعلى العكس، لم يفز مناضـلى القاهرة، باصرارهم أن الدولة هى العدو، بشكبات متضـامنة أو مغذية، وحركتهم المنعزلة - أى اغتيال السـادات - لـم يتبعها انتفاضة السكان المسلمين فى القاهرة التى سعى اليهـا بعنف فراج وأصدقاؤه. [69] .

وبدلا من أن يؤدى الاغتيال الى تمكين الاسـلاميين من الاستحواذ على سلطة الدولة، استطاعت الدولة اسـتغلال

([68]) المصدر السابق، ص ١٦٤

([69]) المصدر السابق ص ٢١٠

فرصة التخبط الناتج عن الاغتيال للقضاء على الاسـلاميين. وبسبب القبض على الآلاف واعدام كثير مـن القـادة، أدى القمع الى اضعاف الحركة بصورة هائلة. وبرغم ذلـك، لـم تنتهى الأسباب التى دفعت كثير من الشباب الى التوجه نحـو الاسلاميين. فمع نهاية الثمانينات اسـتردت الحركـة ثقتهـا وبدأت فى النمـو السـريع فـى بعـض منـاطق القـاهرة والاسكندرية. وكان ذلك مصحوبا بحملة ارهابية قوية ضـد البوليس وقوات الأمن.

بعد ذلك فى ديسمبر ١٩٩٢، قامت الدولـة بحملـة جديدة غير مسبوقة من القمع. واحتلت الأحياء العشوائية فى القاهرة، مثل امبابة، بعشرين ألف جندى بالدبابات والعربات المدرعة. وقبضت على عشرات الآلاف ونظمت عصـابات لقتل الهاربين من المناضـلين الاسـلاميين. وأغلقـت أهـم المساجد التى يستخدمها المسلمون الراديكاليون بالأسـمنت. وقبضت على آباء وأطفال وزوجات المناضلين وعذبتهم.

ومرة ثانية كما حدث فى الثمانينات، نجحـت حملـة الارهاب التى قامت بها الدولة. ولم تكن الحركة الاسـلامية

قادرة على، ولا حتى حاولت، تحريك تأييد جماهيرى فى شكل مظاهرات. وبدلا من ذلك، اندفعت فى استراتيجية ارهابية تماما لم تهز استقرار نظام مبارك بجدية، حتى وان كانت قد دمرت فعليا صناعة السياحة.

فى نفس الوقت، استمر الاخوان الملمون فى التصرف كمعارضة موالية، والتفاوض مع النظام على التطبيق التدريجى للشريعة فى قوانين الدولة، والاحجام عن التمرد ضد القمع.

تناقضات الحركة الاسلامية فى الجزائر:

ان قصة صعود وثورية الحركة الاسلامية فى الجزائر مشابهة من زوايا عديدة لتلك فى مصر. فقد شجع الديكتاتور الجزائرى بومدين فى أواخر الستيات و١٩٧٠ الحركة الاسلامية المعتدلة لمواجهة اليسار معارضيه القدماء داخل حركة التحرير التى أنهت الاستعمار الفرنسى.

في ١٩٧٠ بادرت الدولة بحملة اسلامية بقيادة مولود قاسم، وزير الدين والتعليم، التى استنكرت "انحطاط الأخلاق" و" التأثير الغربى" وراء " الانفتاحية " و" شرب الخمور " و" الاحساس بالدونية الذى يتمثل فـى اتبـاع الغـرب دائمـا والملابس النصف عارية ".[٧٠] استطاع الاسلاميون استغلال هذه الحملة لزيادة نفوذهم الخاص، حاصلين على الأموال من ملاك الأراضى القلقين من الاصلاح الزراعى لنشر الرسالة التى يمكن أن تشد معظم الشرائح الفقيرة من المجتمع:

" كان جوهر دعاية الاصوليين أن الاسلام مهدد من التسلل الشيوعى والالحادى الذى كان الاصـلاح الزراعـى يشكل عقبة أمامه.. ونشر الأصوليون أفكارهم الخاصة فـى أكثر المناطق حرمانا، بعد البناء السريع للمساجد التى تحولت بعد ذلك الى انشاءات صلبة. سئم العمـال والعـاطلين عـن العمل ظروف حياتهم، حيث لـم ينتفعـوا مـن الاصـلاح الزراعى، فاستجابوا للاصوليين".[٧١]

([٧٠]) أ. روديا، المصدر السابق ص ٢٠

([٧١]) المصدر السابق، ص ٣٣، ٣٤.

وبعد ذلك فى منتصف السبعينات حصلوا على دعـم من قطاعات من النظام للقضاء على اليسار فى الكليـات: " نجح الأصوليون فيما بين ١٩٧٦ و١٩٨٠ بالتآمر مع النظام فى القضاء التام على نفوذ الماركسيين".[٧٢]

وفى أوائل الثمانينات، استمر قطاع من النظام فـى التطلع الى الرؤى الأكثر اعتدالا مـن الحركـة الاسـلامية لتدعمه. فقد سعى شيبان، وزير الشئون الدينية حتـى ١٩٨٦ لبناء هذا الاتجاه الاسلامى، ولهذا ساعد الاسلاميين للحصول على أموال لبناء المسـاجد مـن الصـناعيين والمؤسسـات التجارية[٧٣] . ولكن ذلك لم يمكنه من ايقـاف تطـور رؤى اسلامية راديكالية ترفض النظام. هكذا فى مدينة قسطنطين، بينت إحدى الدراسات:

"حلت الأصولية فى قطاع واسع من الرأى العام فى قسطنطين محل المفاهيم التقليدية مـن خـلال نشـر رؤيـة

([٧٢]) المصدر السابق، ص ٣٦

([٧٣]) المصدر السابق، ص ١٤٤

اسلامية جديدة تدعو الى إحياء مجتمع النبى. وتستمد هذه الأصولية قوتها من الاستفزاز الذى يسيطر على جزء كبير من الشباب، أولئك الخارجين من حسابات النظام الاقتصادى والاجتماعى". [٧٤]

كانت هذه الرؤية الاسلامية من القوة بحيث كانت قادرة عل اجبار وزارة التعاليم الدينية على تعيين أعضائها كأئمة فى المساجد بدلا من أولئك الذين يتبنون رؤى معتدلة.

وبدأ النظام يفقد السيطرة على الميكانيزمات نفسها التى أثارها للتعامل مع اليسار. وبدلا من أن تسيطر على الجماهير لصالح النظام، وفرت الحركة الاسلامية تركيزا لكل مرارتهم وكراهيتهم لأولئك القادة الذين شاركوا فى حرب التحرير فى الستينات ولكنهم أصبحوا الآن طبقة حاكمة متميزة. وعمقت الأزمة الاقتصادية التى عانى منها المجتمع الجزائرى فى منتصف الثمانينات من الاحساس بالمرارة - حيث تحولت الدولة الى الرأسماليين الغربيين

([٧٤]) المصدر السابق ص ١٤٥-١٤٦

الذين استنكرتهم فى الماطى فى محاولة للتعامل مع الأزمـة. وأصبح التحريض الاسلامى ضد اولئـك الـذين يتحـدثون الفرنسية وقد " أفسدتهم الأفكار الغربية " بسهولة هجوما على مصالح " الفئة القليلة ولكن المسيطرة من التكنـوقراط ذوى التعليم العالى والذين يشكلون أسـاس طبقـة جديـدة مـن البيةروقراطيين ذوى الرواتب العالية". [٧٥]

بدأ النظام فى التحول ضد الاسلاميين بسجن قـادتهم فى منتصف الثمانينات، حيث أتهم الرئيس الشاذلى الأئمـة " بالديماجوجية السياسية ".[٧٦] وبرغم ذلك، لم تكن النتيجة هى القضاء على الاسلاميين، بل تعزيز موقفهم فـى معارضـة النظام.

أصبح ذلك واضحا فى أكتوبر ١٩٨٨. انفجر العداء ضد الطبقة الحاكمة والنظام فى انتفاضة شبيهة جدا لتلك التى كانت وشيكة الحدوث فى أوروبا الشرقية بعد ذلـك بعـام.

([٧٥]) ج. ب. أنتيلاس، المصدر السابق، ص ٧٤

([٧٦]) أ. روديا، المصدر السابق، ص ١٩١.

وتحولت الحركة فورا، التى بدأت كسلسلة من الاضـرابات العفوية فى الجزائر العاصمة، الى معارك كبيرة فى الشوارع بين الشباب والبوليس: أعاد الناس، مثل سجين أطلق لتـوه، اكتشاف أصواتهم وشعورهم بالحرية. وحتى قوة البوليس لم تعد تخيفهم. [77] كان تمرد أكتوبر ١٩٨٨ قبـل كـل شـئ احتجاجا للشباب على ظروف حياتهم بعد ربـع قـرن مـن الديكتاتورية العسكرية. [78]

اهتز النظام من أساسه نتيجة لهذا التمرد. وكما فـى أوروبا الشرقية، ظهرت كل أشكال القوى السياسـية التـى قمعت من قبل. وكتب الصحفيون بحرية لأول مـرة، وبـدأ المثقفون فى الحديث بحرية عن حالة المجتمـع الجزائـرى الحقيقية.. وعاد السياسيون المنفيون من كـل مـن اليسـار واليمين من الخارج، وظهرت حركة نسائية تتحـدى قـانون العائلة الاسلامى الذى يفرضه النظام، والذى يمـنح النسـاء حقوقا أقل من الرجال. ولكن حالا بدا واضحا أن الاسلاميين

([77]) المصدر السابق، ص ٢٠٩.

([78]) م. الأحنف وآخرين، المصدر السابق، ص ٣٠

كانوا القوى السائدة فى المعارضة خارج منـاطق البربـر. وكان تأثيرهم من زوايا عديدة يشبه نفوذ " الديمقراطيين " فى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتى فى السنة التالية. واجتمع لهم القبول الذى أبداه قطاعات من النظـام فـى الماضـى، والدعم الذى يحصلون عليه من بعض الدول الأجنبية القويـة (على سبيل المثال، التمويل من السعودية) مع قدرتهم علـى التماسك حول رسالة ركزت مرارة جماهير السكان:

" بدا الاسلاميون بفضل عددهم، وشـبكة المسـاجد الخاصة بهم، وقدرتهم على التحرك عفويا كرجـل واحـد، كأنما يطيعون أوامر لجنة مركزية سرية، كما لو أنهم الحركة الوحيدة القادرة على تحريك الجماهير والسيطرة على مجرى الأحداث. فقد كانوا هم الـذين يتقـدمون كمتحـدث باسـم المتمردين، والقادرين على فرض أنفسهم كقادة للحركة فـى المستقبل... وبعد أن هدأ النظام، الذى لم يعـرف مـع مـن يتفاوض، بنادقه الآلية، كان يبحث عـن القـادة والممثلـين القادرين على صياغة مطالب والسيطرة على الجماهير الذين يتحركون بعنف لا يمكن السيطرة عليه. لذلك استقبل الشاذلى

عباس مدنى، وبلحاج ومهنى (أشـهرالزعماء الاسـلاميين) ".[79]

وقد أصبحت الحركة الاسلامية، المنظمة الآن فـى جبهة الانقاذ، مؤثرة فى الشهور التى تلت ذلك لدرجة أنهـا كانت قادرة على السيطرة على معظم الدوائر الهامـة فـى انتخابات يونية ١٩٩٠ المحلية، وبعد ذلك حصلت على أكبر عدد من الأصوات فى الانتخابات العامة فى ديسمبر ١٩٩١، برغم تعرضها للقمع الشديد. ألغى العسكريون الجزائريـون الانتخابات لمنع الاسلاميين من تشكيل الحكومة. ولكـن لـم يوقف ذلك التأييد الجماهيرى للاسلاميين خالقة ظروف حرب أهلية تقريبا فى البلاد، مع سقوط منـاطق بكاملهـا تحـت السيطرة الكاملة للجماعات الاسلامية المسلحة.

وبرغم ذلك كان صعود النفوذ الاسلامى مصـحوبا بخلط متزايد حول ما تدعو اليه جبهة الانقاذ الاسلامية. فأثناء

([79]) المصدر السابق.

سيطرتها على المدن الرئيسـية بـين يونيـو ١٩٩٠ ومـايو ١٩٩١،:

" كان التغيير الذى أحدثوه متواضـعا؛ أى اغـلاق البارات، الغاء الحفلات الموسيقية، الحملات - فـى أوقـات العنف - من أجل "احتشام النساء " وضد أطبـاق اسـتقبال الأقمار الصناعية المنتشرة التى " تسـمح باسـتقبل الأفـلام الغربية الجنسية"... ولم يعد مدى (أشهر قادة جبهة الانقـاذ الاسلامية) ولا مجلس شورى الجبهـة برنامجـا سياسـيا اجتماعيا حقيقيا ولا دعوا الى مؤتمر لمناقشته. وقصر مدنى نفسه على القول بأن ذلـك سـوف يحـدث بعـد تشـكيل الحكومة".[٨٠]

وما فعلته جبهة الانقاذ فعلا هو إعـلان معارضـتها لمطالب العمال بتحسين الأجور. وقد عارضـت فـى هـذه الشهور اضراب عمال النظافـة فـى الجزائـر العاصـمة،

---

(٨٠) ج. جوليتسو، **Argelia en el Vendava** في (البـايس **El-–Pais)** ، ٣٠ مارس ١٩٩٤.

واضراب عمال الخدمة المدنية، وكذلك الاضراب العام ليوم واحد الذى دعى اليه اتحاد النقابات " الحكومـة " السـابق. وبرر مدنى كسر اضراب عمال النظافة فى تحقيق صحفى، شاكيا أن ذلك كان يجبر أنـاس محتـرمين مثـل الأطبـاء والمهندسين على كنس الشوارع:

" من حق عمال النظافة أن يضربوا، ولكن ليس من حقهم احتلال العاصمة وتحويل البلاد الى مزبلـة. ويوجـد اضرابات تقوم بها النقابات وتصبح وجالا لنشاط المفسـدين، أعداء ا والوطن، الشيوعيين وآخرين، الذن ينتشرون فـى كل مكان بسبب تراجع كوادر جبهة التحرير الوطنية... [81]

اننا نحيى ايام ".

تناسب هذا الموقف " المحترم " تماما مـع مصـالح الطبقات التى مولت الاسلاميين منذ زمن الاصلاح الزراعى حتى الآن وتناسب أيضا مع هؤلاء الاعضاء الناجحين مـن البرجوازية الصغيرة الذين كانوا جزءا مـن جبهـة الانقـاذ

([81]) السلام، ترجمة، م. الأحنف، المصدر السابق، ص ٢٠٠- ٢٠٢.

الاسلامية - أى الأساتذة، والأئمـة الراسـخين، ومعلمـى المدارس الثانوية. وقد جذب أيضا أولئـك الـريفيين الـذين مكنهم ولاؤهم للحزب الحاكم السابق - أى جبهة التحرير - من الرخاء المادى، وأصبحوا فلاحين رأسماليين نـاجحين أو رجال أعمال صغار. ولكنه لم يكن كافيـا لارضـاء جماهير الفقراء فى الحضر الذين تطلعوا الى جبهة الانقـاذ أملا فى الخلاص أو اجبار الطبقة الحاكمة والعسكريين على التراجع وقبول حكومة تشكلها جبهة الانقاذ الاسلامية.

فى نهاية مايو ١٩٩١ تحول قادة جبهة الانقاذ، أمـام تهديدات العسكريين بافساد العملية الانتخابية بدلا من خطـر انتصار الجبهة، و" قاموا بانتفاضة حقيقية أعادت الى الأذهان أكتوبر ١٩٨٨: قنابل مولوتوف، غازات مسـيلة للـدموع، متاريس، ودفع على بلحاج، الإمام الزعيم، بعشـرات الآلاف من المتظاهرين الى الشوارع. [٨٢] وسيطرت جبهة الانقـاذ

([٨٢]) عن هذه الأحداث أنظر في ج. جوليتسو، المصدر السـابق، ٢٩ مارس ١٩٩٤ هذا هو الطريق الذي تقترحة الىن جريدة رأس المـال البيرطاني، الفاينانشيال تايمز، اليومية وكذلك الحكومة الأمريكية.

لبعض الوقت على مركز العاصمة الجزائرية، يدعمها عـدد هائل من الشباب الذين بدا لهم الاسلام والجهاد البديل الوحيد عن بؤس المجتمع الذى يدافع عنه العسكريون.

في الواقع، كلما ازدادت جبهة الانقـاذ قـوة، كلمـا ترددت بين الهدوء والثورة، داعيـة الجمـاهير الـى عـدم الاضراب فى مارس ١٩٩١ وبعد ذلك دعتهم الى الاطاحـة بالدولة بعد شهرين فقط فى مايو.

ظهرت نفس التناقضات فى الحركة الاسـمية فـى الثلاث سنوات منذ أن تزايدت حدة حرب العصابات فى كـل من المدن والريف. " وقد أثار الحكم على عباس مدنى وعلى بلحاج بالسجن ١٢ عاما ثورة كبرى داخـل جبهـة الانقـاذ وانقساما فـى قواعـدها. وأشـاع حجـز آلاف الأعضـاء والمتعاطفين معها فى معسكرات فى الصحارى الارهاب فى المدن وحرب العصابات فى الريف[٨٣] . ونشأت منظمتـين مسلحتين، هما الحركة الاسـلامية المسـلحة، والجماعـات

---

(٨٣) ج. جوليتسو، المصدر السابق، ٣٠ مارس ١٩٩٤.

الاسلامية المسلحة، التى حصلت علـى تأييـد الجماعـات المسلحة فى كل مناطق الـبلاد. ولكـن كانـت الحركتـان السريتان تتميزان " بالانقسامات الداخلية": [٨٤]

" فى مقابل ' الاعتدال ' المفترض للحركة الاسلامية المسلحة، التى تغتال ' فقط ' ممثلـى ' النظـام الفـاجر'، تعرض الجماعات الاسلامية المسـلحة الجهـاد المتطـرف، والذى يختار ضحاياه من الصحفيين، والكتـاب، والشـعراء والنسويين والمثقفين... منذ نـوفمبر ١٩٩٣ قتـل ٣٢ مـن الأئمة المسلمين المعتدلين والنساء المتبرجات...

أدت معارك قتل الأخوة بـين الحركـة الاسـلامية المسلحة والجماعات الاسلامية المسلحة الى ضحايا كثيـرة.. وينسب البعض موت ٧ من الارهابيين الى هذه المشاجرات، ولكن البعض الآخر ينسبه الى العصـابات التـى ينظمهـا البوليس. [٨٥] وتتهم الجماعات الاسـلامية المسـلحة القـادة

([٨٤]) المصدر السابق.

([٨٥]) المصدر السابق.

التاريخيين لجبهة الانقاذ بالانتهازية والخيانة وبالتخلى عـن برنامجهم فى التطبيق الكامل للشريعة." [86]

مفترق الطرق:

تبين تجربة الحركة الاسلامية فى مصر والجزائـر كيف أنها يمكن أن تنقسم حول مسألتين مختلفتين: أولا حول ضرورة اتباع مرحلة تطول أو تقصر من الاصلاح السـلمى للمجتمع القائم أو حمل السلاح؛ ثانيا حول ضرورة الكفـاح لتغيير الدولة أو تطهير المجتمع من " الكفر".

فى مصر تعتمد الأخوان المسلمون حاليا على سياسة إصلاحية تتوجه نحوالدولة. وهى تحاول أن تعمـل داخـل المجتمع الحالى بانية قوتها حتى تصبح معارضة شرعية، مع سيطرة إعلامها الخاص على مختلف منظمات مهنيى الطبقة الوسطى والتأثير داخل قطاعات أوسع من السكان من خلال

([86]) المصدر السابق، ١٣ إبريل ١٩٩٤.

المساجد والجمعيات الخيرية الاسلامية. وهى أيضا تميل الى التأكيد على الجهاد لفرض احترام القيم الاسلامية من خـلال حملات اعلامية تدعو النظام القائم الى ادخال الشريعة فـى القانون الرسمى.

هذه هى الاستراتيجية التى تبدو أيضا أنهـا تجـذب قطاعا من قيادة جبهة الانقاذ المسـجونين أو المنفيـين فـى الجزائر. فى الشهور القليلة الأولى من ١٩٩٤ كانت هنـاك تقارير عن مفاوضات بينهم وبين قسما مـن النظـام، مـع الاتفاق حول اقتسام السلطة لتطبيق جزء من الشريعة. هكـذا جاء فى تقرير لصحيفة الجارديان فى أبريل ١٩٩٤ أن رباح كبير، أحد قادة جبهة الانقاذ المنفيين، رحب بتعيـين رضـا مالك، أحد قادة طبقة التكنوقراط، رئيسا جديدا للوزراء فـى الجزائر، " كحدث ايجابى "[٨٧] - بعـد يـومين فقـط مـن استنكار جبهة الانقاذ لآخر اتفاق بين الحكومة وصندوق النقد الدولى.[٨٨]

([٨٧]) الجارديان، ١٣ إبريل ١٩٩٤.

([٨٨]) الجارديان، ١٣ إبريل ١٩٩٤.

يرى بعض المعلقين المحنكين أن هذه الصفقة تقـدم أفضل الطرق للبرجوازية الجزائريـة لانهـاء حالـة عـدم الاستقرار والحفاظ على موقعها. هكذا يرى جوان جويتسلولو أن العسكريين كان يمكن أن يتجنبوا الكثير من المتاعب مـن خلال السماح لجبهة الانقاذ الاسلامية بتشكيل الحكومة بعـد انتخابات ١٩٩١:

" ستعوق الظروف التى تصعد فيهـا الـى السـلطة تطبيق برنامجها بشكل فعال. فمديونية الجزائر، واعتمادهـا فى التمويل على الدائنين اليابانيين والأوروبيين، والفوضـى الاقتصادية والمشاعر العدائية للقوات المسلحة كانت ستشكل عقبة كبيرة يصعب على حكومة جبهة الانقاذ التغلب عليها... فعجزها عن الوفاء بوعودها الانتخابية كان شـيئا معروفـا مسبقا. وعلى مدار سنة من حكومة محاصـرة بقـوة مـن أعدائها، كانت جبهـة الانقـاذ سـتفقد جـزءا كبيـرا مـن مصداقيتها"[٨٩] .

---

(٨٩) ج. جوليتسو، المصدر السابق، ٢٩ مارس ١٩٤٤.

تتناسب ' الاصلاحية فى الحركة الاسـلامية ' مـع احتياجات طبقات اجتماعية هامـة معينـة - أى أصـحاب الأراضى التقليديين والتجار، والبرجوازية الاسلامية الجديدة (مثل أعضاء الأخوان المسلمين الذين أصبحوا مليـونيرات فى السعودية) وذلك القطاع من الطبقة الوسـطى الاسـلامية الجديدة الذين حظوا بالتحرك لأعلـى. ولكنهـا لا ترضـى الشرائح الأخرى الذين تطلعوا الى الحركة الاسـلامية - أى الطلاب والخريجيين الفقراء، أو فقراء الحضر. وكلما سعت جبهة الانقاذ والأخوان المسلمون الى المساومة، كلما تطلعت هذه الشرائح الى اتجاه آخر، معتقـدين أن أى تنـازل عـن مطلب إدخال اسلام السنوات الأولى يعد خيانة.

ولكن من الممكن أن يوجه رد فعلهم نحو ذلك فـى اتجاهات مختلفة. فربما يظل سلبيا فى مواجهة الدولة، داعين الى استراتيجية الانسحاب من المجتمع، ويكون التشيد فيهـا على الدعوة وتنقية الأقليات الاسلامية، بدلا من التشديد على المواجهة. كانت تلك هى الاسـتراتيجية الأصـلية لجماعـة شكرى فى مصر فى منتصف السبعينات، وهى أيضا رؤيـة بعض الدعاة لراديكاليين القلقين من قوة الدولة اليوم.

أو من الممكن أن تتحول الى الصراع المسلح. ولكن بالضبط كما يمكن أن يوجه الصراع السلمى ضد الدولـة أو ضد مظاهر الفجر وحدها، كذلك يمكن أن يكوون الصـراع المسلح صراعا للاطاحة بالدولة، أو حركات مسلحة ضـد ' أعداء الاسلام ' وسط السكان عموما - أ الأقليات العرقـي والدينية، والنساء المتبرجات، والأفلام الأجنبيـة، ونفـوذ ' الامبريالية الثقافية ' وهكذا. ربما يبدو منطق الموقـف هـو دفع الناس نحو خيار الصراع المسلح ضد الدولـة. ولكـن يوجد منطق مضاد قوى فى العملية، تقع جذوره فى التكوين الطبقى لاتباع الحركة الاسلامية.

فكما رأينا، ان القطاعات التى تؤيد لاحركة الاسلامية من الطبقات المستغلة تنسحب بشكل طبيعى الـى اتجاهاتهـا الأكثر إصلاحية. وحتى عندما لايكون لهم خيـار الا حمـل السلاح، فهم يريدون أن يفعلوا ذلك بطريقة تقلل الـى الحـد الأدنى الاحتجاج الاجتماعى الأوسـع. فهـم يسـعون الـى الانقلابات بدلا من الحركة الجماهيرية. واذا حدث ذلك رغما عنهم، يحاولون انهاءه بأسرع وقت ممكن.

يستطيع فقراء البرجوازية الصغيرة الجديدة التحـرك أبعد بكثير نحو مفهوم الحركة المسـلحة. ولكـن مـوقعهم الاجتماعى الهامشى الخاص يمنعها من رؤية ذلك كتطور من الصراعات الجماهيرية مثل الاضرابات. وبـدلا مـن ذلـك تتطلع الى المؤامرات التى تعتمد على الجماعات الصـغيرة المسلحة - المؤمرات التى لا تؤدى الى التغيير الثورى الذى أراده قادتهم، حتى عندما يحققون أهـدافهم المباشـرة مثـل اغتيالهم للسادات. ومن الممكن أن تحدث خللا كبيـرا فـى المجتمع الحالى ولكنها لا تستطيع تثويره.

كانت هذه تجربة الشعبويين فى روسيا قبـل ١٩١٧. وكانت تجربة جيل من الطلبة والخريجين فى كـل منطقـة العالم الثالث الذين اتجهوا نحو الجيفارية والماوية فى أواخر الستينات(والذين ما زال أتبـاعهم يحـاربون فـى الفلبـين وبيرو). وهى تجربة الاسلاميين المسلحين فى مواجهة الدولة فى مصر والجزائر اليوم.

ربما يكون الطريق الوحيد للخروج من هذا المـأزق أن يبنى الاسلاميون أنفسهم على أساس طبقات غير هامشية

ومتوسطة الحجم. ولكن الأفكار الأساسية للحركة الاسـلامية تجعل ذلك مستحيلا حيث يدعو الاسلام، حتـى فـى شـكله الأكثر راديكالية، الى العودة الى مجتمع الأمة الذى يوفق بين الأغنياء والفقراء، وليس الإطاحة بالآغنياء. هكـذا يطـرح البرنامج ألإقتصادى لجبهة الإنقـاذ خطـة ' للمشـروعات الصغيرة ' التى تنتج ' الاحتياجات المحلية ' مدعية أن ذلك بديلا عن ' الرأسمالية الغربية ' والتى لا تتميز فعـلا عـن الدعاية الانتخابية للعديد من الأحزاب الليبرالية والمحافظـة المنتشرة فى العالم.[90] وشددت فى محاولاتهـا لتشـكيل ' نقابات إسلامية ' فى صيف ١٩٩٠ على واجبـات العمـال، لأن النظام القديم منحهم حقوقا كثيرة و' عود العمـال علـى الكسل ' كما تدعى. وأصرت على أن الصراع الطبقـى ' لا يوجد فى الإسلام '، لأن النصوص المقدسة لم تتحدث عنه. والمطلوب هو أن يعامل صاحب العمل عماله بنفس الطريقة التى يأمر بها القرآن المؤمنين لمعاملة عبيدهم - أى ' أخوة '.[91]

---

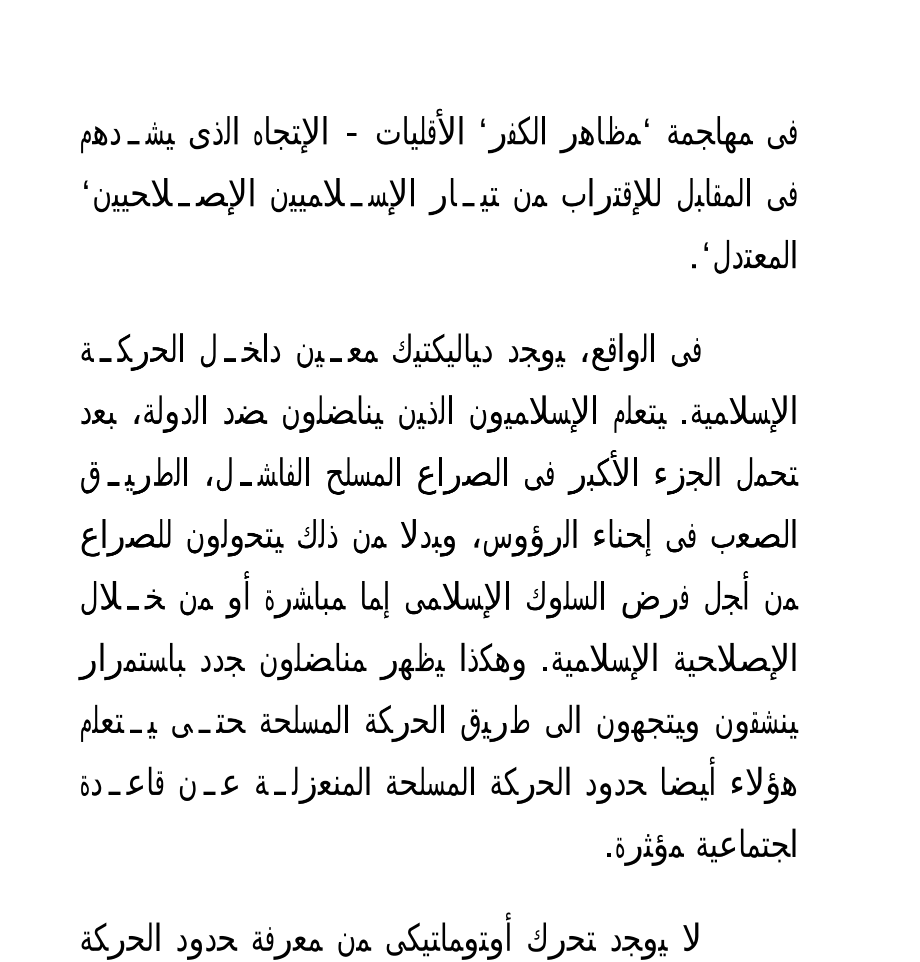
(٩٠) أنظر الترجمة السياسية في ، م. الأحنف ، المصدر السابق.

(٩١) المصدر السابق، ص ١٠٩

وليس غريبا أن أى من ' الجماعات الإسلامية ' لـم تنجح فى أى مكان فى بناء قاعدة لها فى المصانع حتى ولـو عشر القوة التى بنوها فى القطاعات الأخرى. ولكـن بـدون هذه القاعدة لن يمكنهـا بمفردهـا تحديـد مسـار التغييـر الإجتماعى، حتى لو نجحت فى هدم النظام الحالى. فأولئـك الذين يعيشون على هامش المجتمع يمكنهم فى ظروف معينة إثارة أزمة كبرى داخل نظام غير مستقر فعلا. ولا يمكـنهم تحديد كيفية الخروج من هذه الأزمة.

ربما تستطيع الجماعات الإسلامية إثارة تلك الأزمـة فى أحد الأنظمة الموجودة ولذلك يستطيعون عـزل قادتهـا الحاليين. ولكن ذلك لن يمنع الطبقة الحاكمة، التى سـيطرت فى ظل هؤلاء القادة، من الاتفاق مع الإسلاميين الأقل نضالية للتمسك بالسلطة. وبعد تلك الأزمة بوقـت قصـير يواجـه المناضلون الإسلاميون أنفسهم آلة الموت الجبارة على أيدى الدولة.

إنه ذلك الضغط من الدولة هو الذى يشجع بعضـهم للتحول عن الهجوم المباشر على النظام إلى المهمة السـهلة



فى مهاجمة 'مظاهر الكفر' الأقليات - الإتجاه الذى يشدهم فى المقابل للإقتراب من تيار الإسلاميين الإصلاحيين 'المعتدل'.

فى الواقع، يوجد دياليكتيك معين داخل الحركة الإسلامية. يتعلم الإسلاميون الذين يناضلون ضد الدولة، بعد تحمل الجزء الأكبر فى الصراع المسلح الفاشل، الطريق الصعب فى إحناء الرؤوس، وبدلا من ذلك يتحولون للصراع من أجل فرض السلوك الإسلامى إما مباشرة أو من خلال الإصلاحية الإسلامية. وهكذا يظهر مناضلون جدد باستمرار ينشقون ويتجهون الى طريق الحركة المسلحة حتى يتعلم هؤلاء أيضا حدود الحركة المسلحة المنعزلة عن قاعدة اجتماعية مؤثرة.

لا يوجد تحرك أوتوماتيكى من معرفة حدود الحركة الإصلاحية الإسلامية الى الإتجاه نحو السياسة الثورية. بل تؤدى حدود الإصلاحية إلى إما جماعات وعصابات إرهابية تحاول التحرك دون قاعدة جماهيرية، أو فى اتجاه الهجوم الرجعى على ضحايا مشكلات النظام. ولأن كلا الاتجاهين

يعبر عن نفسه بنفس اللغة الدينية، يوجد غالبا سيادة لاتجـاه على آخر.فمن يريدون الهجوم علـى النظـام والإمبرياليـة يهاجمون الأقباط والبربر والنساء المتبرجات. ومـن لـديهم كراهية غريزية للنظام ككل يقعون فـى فـخ الرغبـة فـى التفاوض حول فرض الشريعة من خلال الدولـة. وعنـدما توجد انقسامات بين المجموعات المتصارعة - أحيانـا مـا تكون عنيفة لدرجة أنهم يشرعون فى قتل بعضـهم الـبعض كمرتدين عن الإسلام الحقيقى - يعبر عنها بطـرق تخفـى الأسباب الإجتماعية الحقيقية وراءها. لو أن أحد الإسـلاميين المتطلعين لأعلى كف عن الجهاد، فان ذلك يبرهن فقط على أنه شخصيا ' مسلم سئ، (أو حتى مرتد)؛ وهذا لا يمنع فى حد ذاته إسلاميا آخرا متطلعا لأعلى من أن يكون " مسـلما جيدا "

التجربة الإيرانية:

يهيمن النظام الاسلامى فى ايران على المناقشات حول الاحياء الاسلامى، مثلما يهـيمن سـجل السـتالينية علـى المناقشات حول الاشتراكية، وغالبـا حتـى بـين اليسـار

يتوصلون الى استنتاجات مماثلة. ويعرف المسلمون، بـنفس الدرجة التى كان يعرف بها الستالينيون يوما مـا، كـأخطر القوى السياسية جميعا، القادرة على فرض شمولية تمنـع أى تطور تقدمى، وضرورى من أجل مواجهتهم بالنسبة لليسـار أن يتحد مع القطاعات الليبرالية من البرجوازية، [٩٢] أو حتى تأييد حكومات غيـر ديمقراطيـة فـى قمعهـا للجماعـات الاسلامية[٩٣] . وهذا الرأى يبالغ فى تقدير تماسـك الحركـة الاسلامية وينسب اليها القدرة على صنع الاحداث التاريخيـة والتى فى الواقع ليست لديها، وهذا مبنى على فهـم خـاطئ لدور الاسلام أثناء وبعد االثورة الايرانية فى عام ١٩٧٩.

تلك الثورة لم تنتج عن الحركة الاسلامية، ولكن عن التناقضات الكبيرة التى ظهرت فى نظام الشاه فى منتصـف

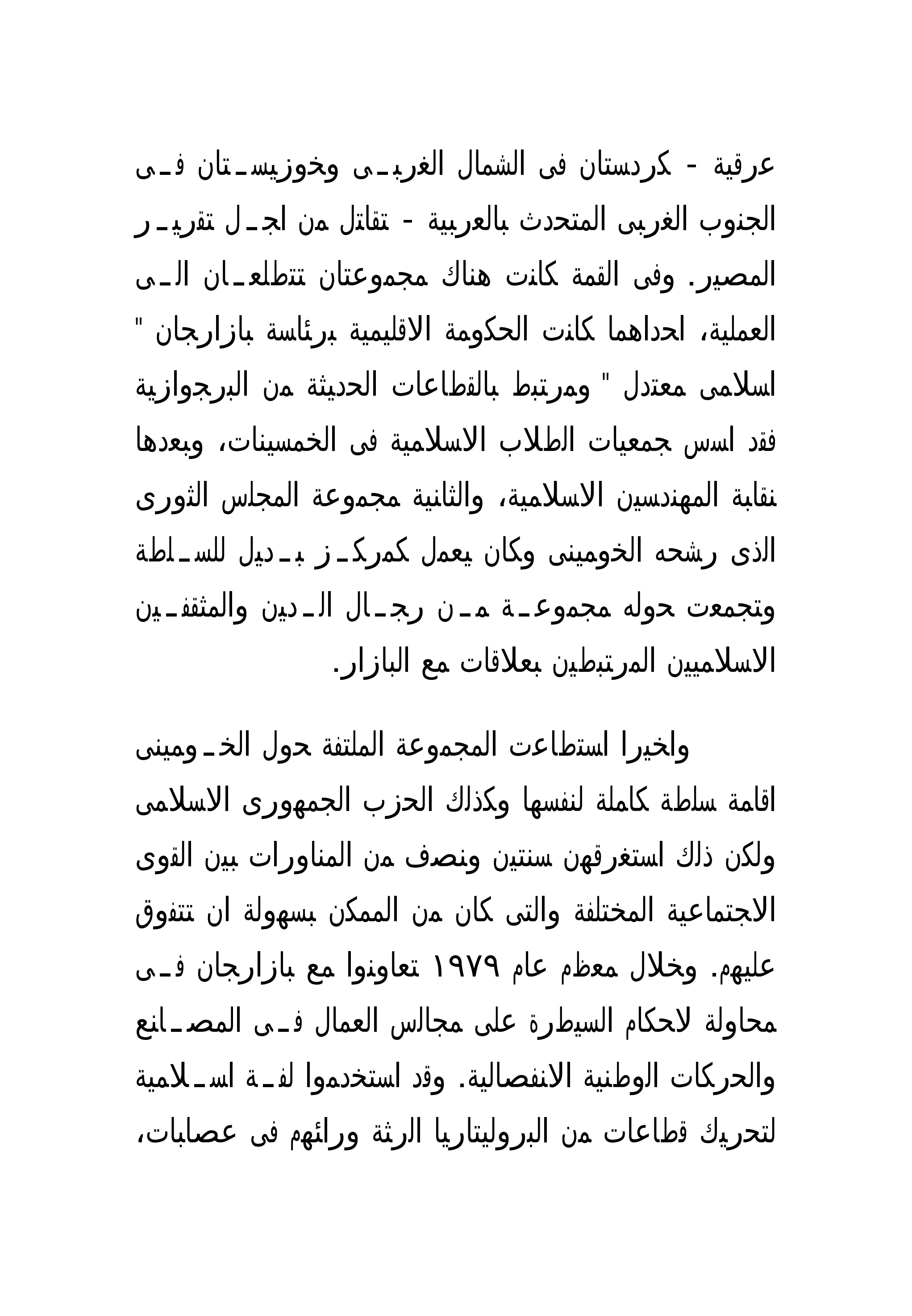
([٩٢])يطرح وجهة النظر هذه ف. هاليدي ، المصـدر السـابق، وقـد طرحت في علاقتها بالستالينية من قبل ماكس شاختمان وآخرين. أنظر ماكس شاختمان، الثورة البيروقراطيـة ، (نيويـورك ١٩٦٢) ولنقـد وجهة النظر هذه أنظر ت. كليف، الملحق الثاني: نظرية البيروقراطية الجماعية، في رأسمالية الدولة في روسيا (لندن ، ١٩٨٨).

([٩٣]) هذا هو موقف الكثيرين اليوم من اليسار في مصر والجزائر.

واواخر الســبعينات، حيــث فاقمــت الازمــة الاقتصــادية الانقسامات العميقة الموجودة بين رأســمال المــال الحــديث المرتبط بالدولة والقطاعات الاخرى التقليدية المتمركزة حول البازار (التى كانت تسيطر على ثلثى تجارة الجملة وثلاثــة ارباع تجارة التجزئة)، فى نفس الوقت كانت تعمق التوترات داخل جماهير العمال والاعداد الهائلة من الفلاحين الســابقين الذين أتوا كالفيضان الى المدن. كانــت المؤسســة الدينيــة الممتعضة من النظام تشترك فى مظاهرات الاحتجاج التــى يقوم بها المثقفون والطلاب والتى أنتشــرت لتضــم فقــراء الحضر فى سلسلة من الصــدامات الكبــرى مــع البــوليس والجيش، وشلت موجة من الاضرابات الصــناعة وتعطلــت نتيجة لتلك الاضرابات أهم حقول البترول. وبعد ذلك وفــى اوائل فبراير ١٩٧٩ نجحت كل مــن عصــابات الفــدائيين اليسارية والعصابات الاسلامية اليسارية من مجاهدى خلــق فى اثارة انقلابات كبرى فى القــوات المســلحة، واحــدثت انهيارا ثوريا للنظام القديم.

كان ينسب الى الزعيم الاسلامى المنفــى ايــات ا خومينى جزء كبير من الحركة الصاعدة، وكان أسمه يرمــز

الى معارضة الملكية، وكان يقيم خارج باريس حيث نقطـة الاتصال بين ممثلى مختلف القوى المشتركة فى الحركـة - أى البازاريين ورجال الدين القـريبين مـنهم والمعارضـة البرجوازية الليبرالية والنقابات المهنيـة والطـلاب وحتـى العصابات اليسارية - ومع عودة الخومينى الى طهران فـى يناير ١٩٧٩ أصبح القائد الرمزى للثورة. وبرغم ذلك كـان أبعد من ان يسيطر على الاحداث فى هذه المرحلـة، حتـى برغم حاسة التكتيك السياسى الحادة التى كان يمتلكهـا، فقـد نمت الاحداث الرئيسية التى أسـقطت الشـاه - أى انتشـار الاضرابات والانقلابات داخل القوات المسـلحة - مسـتقلة تماما عنه، وكذلك فى الشهور التى تلت الثـورة لـم يكـن الخومينى قادرا على فرض أى سلطة على الانتفاضة الثورية أكثر من أى شحص اخر، ففى المدن مارست لجان محليـة متنوعة سلطة الامر الواقع. وكانت الجامعات تحت سـيطرة اليسار والمجاهدين وفى المصانع قاتلات الشورى (مجـالس العمال باللغة الفارسية) من اجل السيطرة مع الادارة وغالبا ما طردوا عملاء نظام الشاه وتولـوا عمليـة ادارة الانتـاج بأنفسهم. وبدأت حركات فى المناطق التى يسـكنها اقليـات



عرقية - كردستان فى الشمال الغربى وخوزيستان فى الجنوب الغربى المتحدث بالعربية - تقاتل من اجل تقرير المصير. وفى القمة كانت هناك مجموعتان تتطلعان الى العملية، احداهما كانت الحكومة الاقليمية برئاسة بازارجان " اسلامى معتدل " ومرتبط بالقطاعات الحديثة من البرجوازية فقد اسس جمعيات الطلاب الاسلامية فى الخمسينات، وبعدها نقابة المهندسين الاسلامية، والثانية مجموعة المجلس الثورى الذى رشحه الخومينى وكان يعمل كمركز بديل للسلطة وتجمعت حوله مجموعة من رجال الدين والمثقفين الاسلاميين المرتبطين بعلاقات مع البازار.

واخيرا استطاعت المجموعة الملتفة حول الخومينى اقامة سلطة كاملة لنفسها وكذلك الحزب الجمهورى الاسلامى ولكن ذلك استغرقهن سنتين ونصف من المناورات بين القوى الاجتماعية المختلفة والتى كان من الممكن بسهولة ان تتفوق عليهم. وخلال معظم عام ١٩٧٩ تعاونوا مع بازارجان فى محاولة لاحكام السيطرة على مجالس العمال فى المصانع والحركات الوطنية الانفصالية. وقد استخدموا لغة اسلامية لتحريك قطاعات من البروليتاريا الرثة ورائهم فى عصابات،

أى حزب ا ، حتى يهاجم اليسار، وفرض القيم الاسـلامية (ضد النساء اللاتى يرفضن ارتداء الخمار) ولتشـترك مـع الجيش فى اخماد الحركات الانفصالية. وكانت هناك نمـاذج للقمع الوحشى مثل اعدام حوالى مائة شخص بسبب " الجرائم الجنسية " أى الزنا والمثلية الجنسية، وقتل بعض المناضـلين اليساريين، واطلاق النار على المعارضين الذين ينتمون الى الاقليات القومية، مثلما يحدث فى أى محاولة لاعادة ترسـيخ المجتمع البرجوازى بعد انتفاضة ثوريـة عظيمـة. ولكـن المحصلة الاجمالية للحزب الجمهورى الاسلامى لـم تكـن ايجابية جدا فى اوائل خريف عام ١٩٧٩، فمن ناحية، دغمت تلك النجاحات التى احرزها فى التعامل مع الثـورة موقـف المجتمعين حول بازارجان الذى تزايد الشقاق بيـنهم وبينـه باستمرار وكما بينت ذلك دراسة لحركة بازارجان:

" بعد عام واحد من سقوط الشـاه كـان يتضـح ان الطبقات الوسطى الاقضل تعليما وكذلك القوى السياسية التى يؤيدونها (أى بازارجان) كانت توسع بسرعة من تأثيرهـا، وتصبح مسيطرة فى مواقع معينـة فـى وسـائل الاعـلام ومؤسسات الدولة وخاصة المؤسسات التعليمية.. ومع تفكـك

وحدة القدر الاسلامية لم تستطع اللجان الاسلامية الحصـول على تأييد غالبية الموظفين فى المؤسسات التابعة لها. "[٩٤]

ومن الناحية الاخرى، كانت هنـاك حالـة مـن غـدم الاستقرار هددت بالافلات من سيطرة الخومينيين وأدت الى النمو الهائل لكل من اليسار العلمانى واليسار الاسلامى، فقـد كان اليسار مسيطرا فى أوساط الطلاب برغم الموجة الاولى من القمع الذى تعرض له فـى أغسـطس ١٩٧٩، وكانـت مجالس شورى المصانع قد انهكت نتيجة لموجة القمع ذاتها، لكن استمر الكثير منها قائما لعام آخر، [٩٥] وبالطبع لم يكـن استعداد العمال للصراع قد انتهى - ففـى عـام ٧٩-١٩٨٠ كان هناك ٣٦٠ اضرابا متنوعا " الاعتصـام بالمصـنع أو احتلاله " و١٨٠ اضرابا فى ٨٠-١٩٨١ و٨٢ اضرابا فـى ٨١-١٩٨٢. [٩٦]

([٩٤]) ه. أ. شيهابي المصدر السابق ص ١٦٩.

([٩٥]) للتفاصيل أنظر. أ بيات، المصدر السـابق، ص ١٠١- ١٠٢ ، ١٢٨-١٢٩.

([٩٦]) هذه الأرقام مذكورة في المصدر السابق، ص ١٠٨.

تمكن الحزب الجمهورى من استعادة سيطرته علـى الموقف من خلال القيام بتحول ثورى فـى نـوفمبر ١٩٧٩ بتنظيمه لاقلية من الطلاب الذين اتبعوا شعاراته بـدلا مـن شعارات الفدائيين أو مجاهدى خلق لاحتلال سفارة الولايـات المتحدة والاحتفاظ بموظفيها كرهائن مثيرا بـذلك مواجهـة كبرى مع أكبر قوة امبريالية فى العالم. وتذكر دراسة أخرى لهذه الفترة أن " الطلاب الاصولين فى المنظمات الاسـلامية الذين كان ينظر اليهم - قبل اسـابيع قليلـة مـن منافسـى الجماعات - على انهـم رجعيـين وطفـوليين، بـدوا الان كثوريين نشطيين وكانت الجماهير تحيهم عنـدما يظهـرون علـى بوابـة السـفارة الامريكيـة اثنـاء لقـاءاتهم مـع الصحفيين ".[٩٧]

([٩٧]) م. م. صالحي ، التمرد من خلال الثقافة والـدين (نيويـورك، ١٩٨٨).

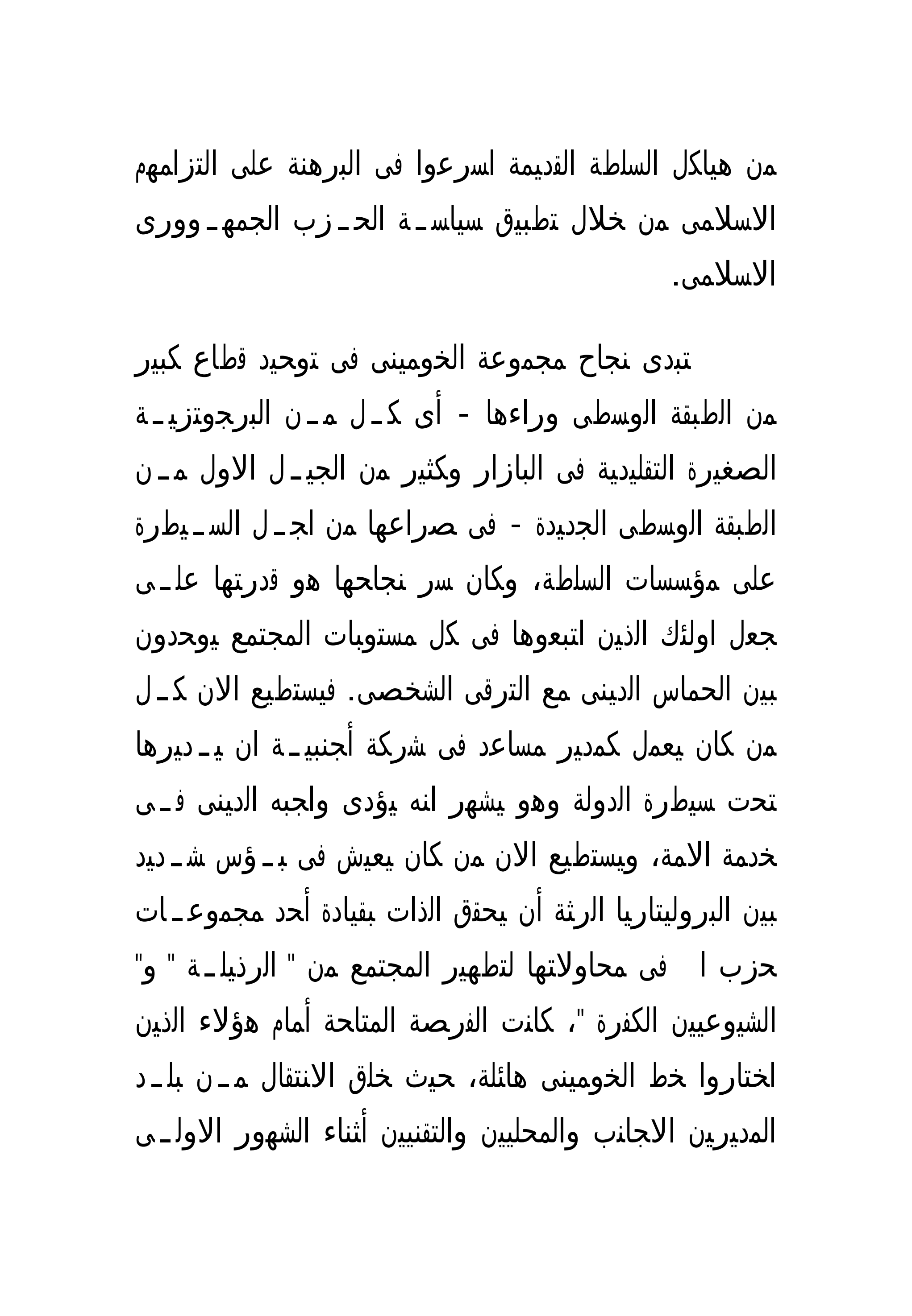
لقد كان التحول الـى موقـف راديكـالى معـادى للامبريالية مصحوبا بموجة ثورية فـى سياسـات الحـزب الجمهورى الاسلامى فى المصانع، فمن الدفاع عن المديرين القدماء تحول الى التحريض على عزلهم - برغم أن الهدف لم يكن سيطرة العمال على مجالس الادارة - وليحل محلهـم مديرين اسلاميين ليتعاونوا مع المجالس الاسلامية التى كـان اليساريون والمجاهدون معزولين عنها تلقائيا " ككفار". وحقق التحول الثورى شعبية جديدة للحزب الجمهورى الاسـلامى، فقد بدا يضع سياسة معاداة الامبريالية موضع التنفيـذ، تلـك السياسية التى استخدمتها مجموعة البازارجان دعائيا خـلال سنوات طويلة من معارضة الشاه ولكنهم الان يتخلون عنهـا لانهم يحاولون اقامة علاقة جديدة قوية بين ايران والولايات المتحدة. لثد كان أيضا يتحرك فى ضؤ الشـعارات الشـعبية الهامة التى رفعت فى الشهور التى تلـت الثـورة بواسـطة القوى المتنامية لكل من اليسار العلمانى والاسلامى:

" كان احتلال الاصوليين للسفارة الامريكية قد ساعدهم على التغلب على بعض العقبات، ونتج عن ذلك مساعدة تلك الجماعات التى دافعت عن سـلطة رجـال الـدين لتطبيـق

سياساتها والسيطرة على المؤسسات الحساسة التى كان يعمل فيها وتسيطر عليها الطبقات الوسطى الافضل تعليما. فعندما هاجم الطلاب الموالون لرجـال الـدين بوابـات السـفارة الامريكية عاد أولئك الذين كان يشار اليهم كـرجعيين الـى الظهور كقادة ثوريين قادرين على اغراق القـوى العلمانيـة وانصار التحديث معا... كان ذلك بداية لتحالف جديد حيث كان بعض رجال الدين ومن لهم علاقات معهم من البازاريين قادة المجموعات الكبيرة من فقراء الطبقة الوسـطى وكـان فقراء الحضر هم القائمين بالوظائف ". [٩٨]

لم تكن المجموعة الملتفة حول الخومينى فقـط تـزداد جماهيرية، بل أيضا كانت تخلق قاعدة أوسع بكثيـر لنفسـها حيث عزلت أو على الاقل هددت بعـزل قـدماء المـديرين والموظفين " الغير اسلاميين ". ففـى الصـناعة والاعـلام والقوات المسلحة والبوليس بدأت طبقة جديدة من الناس فـى السيطرة على واعتمد كستقبلهم الوظيفى على قدرتهم علـى الدعاية للرؤية الخومينية للاسلام، وكذلك اولئك الذين تبقـوا

([٩٨]) هـ. أ. شيهابي، المصدر السابق، ص ١٦٩.



من هياكل السلطة القديمة اسرعوا فى البرهنة على التزامهم الاسلامى من خلال تطبيق سياسـة الحـزب الجمهـوورى الاسلامى.

تبدى نجاح مجموعة الخومينى فى توحيد قطاع كبير من الطبقة الوسطى وراءها - أى كـل مـن البرجوتزيـة الصغيرة التقليدية فى البازار وكثير من الجيـل الاول مـن الطبقة الوسطى الجديدة - فى صراعها من اجـل السـيطرة على مؤسسات السلطة، وكان سر نجاحها هو قدرتها علـى جعل اولئك الذين اتبعوها فى كل مستويات المجتمع يوحدون بين الحماس الدينى مع الترقى الشخصى. فيستطيع الان كـل من كان يعمل كمدير مساعد فى شركة أجنبيـة ان يـديرها تحت سيطرة الدولة وهو يشهر انه يؤدى واجبه الدينى فـى خدمة الامة، ويستطيع الان من كان يعيش فى بـؤس شـديد بين البروليتاريا الرثة أن يحقق الذات بقيادة أحد مجموعـات حزب ا فى محاولاتها لتطهير المجتمع من " الرذيلـة " و" الشيوعيين الكفرة "، كانت الفرصة المتاحة أمام هؤلاء الذين اختاروا خط الخومينى هائلة، حيث خلق الانتقال مـن بلـد المديرين الاجانب والمحليين والتقنيين أثناء الشهور الاولـى

من الانتفاضة الثورية ١٣٠٠٠ وظيفة تحتاج لمن يشـغلها، [٩٩] وأضاف تطهير " اللاإسلاميين " من المديرين والموظفين وضباط الجيش الكثير الى مجموع تلك الوظائف.

ان الشئ المثير فى الطريقة التى استخدمتها مجموعة الخومينى فى طرد معارضيها وتأسيس نظام الحزب الواحـد انه لم يكن هناك بالتحديد شئ اسلامى فيها، ولم تكن - كمـا يعتقد كثير من الناس الذين ارهبتهم المثابرة الدينية للنظام - نتيجة لخاصية ما غير عقلانيـة مـن العصـور الوسـطى للاصولية الاسلامية. لكنها فى الواقع كانـت مماثلـة جـدا للطريقة التى اتبعت فى اجزاء مختلفة من العـالم بواسـطة احزاب تعتمد على قطاعات من البرجوازية الصغيرة، وعلى سبيل المثال كانت هى الطريقة المستخدمة من قبل الاحزاب الشيوعية الضعيفة فى جزء كبير من اوروبا الشرقية لتجعيم حكمها بعد ١٩٤٥. [١٠٠] ان النموذج الاولـى للبرجـوازى

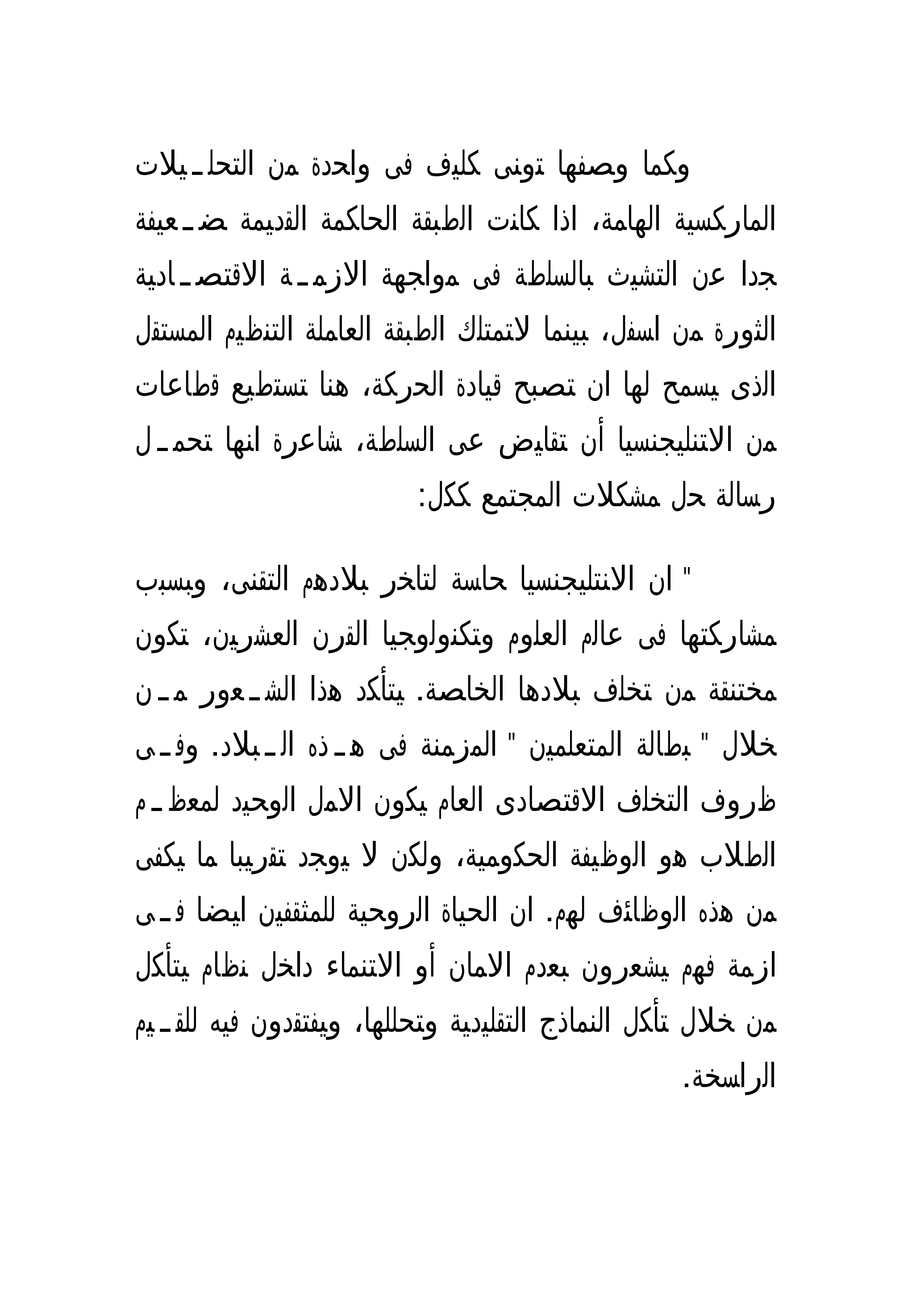
---

(٩٩) الرقم مذكور في د. هيرو، المصدر السابق، ص ١٧٨.

(١٠٠) أنظر الفصل الثالث من كتابي (كريس هارمـان)، الصـراع الطبقي في أوروبا الشرقية ٤٥- ١٩٨٣، (لندن ، ١٩٨٣).

الصغير الذى يربط بين الانتمـاء الايـديولوجى والترقـى الشخصى يوجد فـى روايـة الاب جوريـو لبلـزاك - أى اليعقوبى العصامى الذى يصنع ثروته من خـلال اسـتغلال الندرة الناتجة عن الانتفاضة الثورية.

لايمكن لحزب سياسى يعتمد على تنظـيم قطـاع مـن البرجوازية الصغيرة حول الصراع من اجـل الوظـائف ان يصل الى السلطة فى أية ظروف، فمعظم هـذه المحـاولات تنتهى الى لا شئ، لان التكوينـات البرجوازيـة الصـغيرة ضعيفة جدا حتى تتحدى سلطة الطبقات الحاكمة القديمة دون تحريك جماهير المجتمع الذى لا يستطيعون السيطرة عليـه حينذاك، وهكذا، فى الثورة البرتغاليـة عـام ١٩٧٤-١٩٧٥ حاول الحزب الشيوعى تخلل مؤسسات السلطة التى سـقطت وتمزقت فى مواجهة المقاومة التى نظمتها القوى الرأسـمالية العظمى من ناحية، وكذلك تصاعد نضالية العمال من أسـفل من ناحية اخرى. هذه المحاولات يمكن أن تـنجح فقـط اذا كانت الطبقات الاجتماعية الرئيسية مشلولة لاسباب تاريخيـة معينة.



وكما وصفها تونى كليف فى واحدة من التحلـيلات الماركسية الهامة، اذا كانت الطبقة الحاكمة القديمة ضـعيفة جدا عن التشيث بالسلطة فى مواجهة الازمـة الاقتصـادية الثورة من اسفل، بينما لاتمتلك الطبقة العاملة التنظيم المستقل الذى يسمح لها ان تصبح قيادة الحركة، هنا تستطيع قطاعات من الانتليجنسيا أن تقايض عى السلطة، شاعرة انها تحمـل رسالة حل مشكلات المجتمع ككل:

" ان الانتليجنسيا حاسة لتاخر بلادهم التقنى، وبسبب مشاركتها فى عالم العلوم وتكنولوجيا القرن العشرين، تكون مختنقة من تخاف بلادها الخاصة. يتأكد هذا الشـعور مـن خلال " بطالة المتعلمين " المزمنة فى هـذه الـبلاد. وفـى ظروف التخاف الاقتصادى العام يكون الامل الوحيد لمعظـم الطلاب هو الوظيفة الحكومية، ولكن لا يوجد تقريبا ما يكفى من هذه الوظائف لهم. ان الحياة الروحية للمثقفين ايضا فـى ازمة فهم يشعرون بعدم الامان أو الانتماء داخل نظام يتأكل من خلال تأكل النماذج التقليدية وتحللها، ويفتقدون فيه للقـيم الراسخة.

ويساعد التحلل الثقافى على نممو الحاجة الشديدة الـى وحدة جديدة يجب ان تكون كلية وديناميكية لو كان لهـا ان تملاء الفراغ الاجتماعى والروحى، يجـب ان توحـد بـين الانتماء الدينى والنضال القومى. انهم يسعون الـى حركـة ديناميكية توحد الامة وتفتح مجالات واسعة أمامها، ولكنهـا غى نفس الوقت ستمنحهم السلطة، وهم يأملون فى الاصلاح من أعلى وسوف يسعدهم تسليم العالم الجديـد الـى أنـاس يعترفون بالجميل بدلال من ان يشهدوا حرطة تحـرر مـن أناس واعين بانفسهم وينتظمون معا بحرية تكـون نتيجتـه عالما جديدا لانفسهم، وهم يهتمون أقـل مـن ذلـك بكثيـر بالديمقراطية وكل هذا يجعل رأسمالية الدولة الشمولية هـدفا جذابا جدا للمثقفين. " [١٠١]

برغم أن هذه الكلمات ككتبت عن جاذبية السـتالينية والماوية والكاسترويية فى بلاد العالم الثالث، فهـى تتناسـب تماما مع الانتليجنسيا الاسلامية حول الخومينى فى ايـران، ولم يكونوا كما يعتقد خطأ العديد مـن المعلقـين اليسـاريين

([١٠١]) ت. كليف، الثورة الدائمة المنحرفة.

مجرد تعبير عن رأس المال التجارى " الطفيلـى المتخلـف البازارى التقليدى "[١٠٢] ولم يكونوا ببساكة تعبيرا عن الثورة البرجوازية المضادة الكلاسيكية. [١٠٣] فقد قاموا باعادة تنظيم ثورية للملكية والسيطرة على رأس المال داخل ايران حتـى عندما تركوا علاقات الانتاج الرأسمالية كما هى، واضـعين رؤوس الاموال الكبيرة التى كانت مملوكة للمجموعة الملتفة حول الشاه فى أيدى مؤسسات الدولة ومؤسسات تابعـة لهـا يسيطرون بأنفسهم عليهـا - وذلـك بـالطبع فـى صـالح المقهورين، بتسمية الشـركة التـى احتلـت الامبراطوريـة الاقتصادية الخاصة بالشاه مؤسسة المستفزين، وكمـا يـذكر بيات،:

([١٠٢]) ولم يمثلوا أيضا، كما يطرح هاليدي، القوى الاجتماعية القبل – رأسمالية المصدر السابق، ص ٣٥ ويظهر هاليدي مـن خـلال هـذا الطرح كيف أن أصوله الماوية،تمنعه من فهم طبيعة الرأسمالية في هذا القرن.

([١٠٣]) كما يطرح ف. مارشال في كتابه الممتـاز، الثـورة والثـورة المضادة في إيران المصدر السابق.

" كان احتلال الاسلامين للسلطة انعكاسا للفراغ فـى السلطة فى دولة ما بعد الثورة، فلم تكـن البروليتاريـا ولا البرجوازية قادرة على فرض هيمنتهـا السياسـية، ويجـب التفتيش عن سبب عجزها فى تطورهما التاريخى الذى يشهد على ضعف كلا منهما. "[١٠٤]

أو كما بينها كليف بالنسبة لانتليجنسيا بـلاد العـالم الثالث " أن قوتهم لها علاقة مباشرة بضعف الطبقات الاخرى وانعدام اثرها السياسى " [١٠٥] وكان ذلك بسبب اعتمادهم على الموازنة بين الطبقات الاجتماعية الرئيسية لمـد سـيطرتهم الخاصة على الدولة وقطاعات من رأس المال حيـث كـان على مجموعة الخومينى ضرب منظمـات اليسـار أولا ثـم المنظمات البرجوازية القائمة على (بازارجان.. الخ) قبـل أن تكون قادرة على تدعيم سلطتها. فى عام ١٩٧٩ كان ذلك يعنى العمل مع بازارجان ضد اليسار لاخماد الموجة الثورية، وبعد ذلك التلميح بشكل معـين لليسـار بـاحتلال السـفارة

([١٠٤]) أ. بيات، المصدر السابق، ص ١٣٤.

([١٠٥]) ت. كليف ، المصدر السابق.

الامريكية لعزل البرجوازية القائمة، وخلال الثمانينيات كـان يعنى ترددا آخر (زجزاج) بالسماح لزعيم اسلامى آخر له علاقات مع البرجوازية القائمة هو " بـن صـدر " لتـولى الرئاسة وبعد ذلك العمل معه لتـدمير حصـن اليسـار أى الجامعات، وعندما أقترح الحـزب الجمهـورى الاسـلامى ارسال العصابات الاسلامية، حـزب ا ، الـى الجامعـات لتطهيرها من العناصر المعادية للاسلام، كـان بـن صـدر مسرورا بان يعلن:

"وافق كل من قادة الحزب الجمهورى والليبراليـون على فكرة الثورة الثقافية نت خلال الفعل المباشر للجمـاهير الذين حرضوا على التظاهر فى ساحات الجامعات.. كان ذلك بالنسبة لليبراليين وسيلة للتخاص من المحرضين اليسـاريين فى النقابات العامة والمصانع والمناطق الريفية، حتى يمكـن اعادة الاستقرار الاقتصادى والسياسى للبلاد.

احتلت عصابات حزب ا الجامعات، اصابة وقتلت أعضاء الجماعات السياسية التى كانـت تعـارض الثـورة الثقافية، واحرقت الكتب والصحف التى أعتقد أنهـا " غيـر

اسلامية "، وأغلقت الحكومة كل الجامعات والكليـات لمـدة ثلاثة سنوات تم خلالها اعادة كتابة مناهج الجامعات." [١٠٦]

وبرغم ذلك، حتى فى هذا الوقت استمر الخومينيون فى الحفاظ على جزء من صورة " اليسار " الخاصـة بهـم مستخدمين لغة معادية للامبريالية لتبرير مـا يفعلـون وقـد أصروا على ان الحرب لفرض القيم الاسلامية ضرورية فى الصراع ضد الاستعمار الثقافى وان اليسار، لانه كان قد قاوم ذلك، كان فى الواقع يعمل لصالح الامبرياليـة. وسـاعدتهم الاخداث على تأكيد هذه الادعاءات، فقد شهدت نفس الفتـرة المحاولة الفاشلة للولايات المتحدة فى اعادة احتلال السـفارة من خلال ارسال طائرات هليكوبتر محملة بالسلاح (والتـى اصطدمت مع بعضها البعض فـى الصـحراء)، وكـذلك مظاهرات الشيعة ضد الحكومة فى البحرين، واعمال التمرد التى تناصر الخومينى فى منطقة الاحساء الغنية بالبترول فى السعودية واحتلال اسلاميون مسلحين للمسجد الحـرام فـى مكة، ومحاوولة صدام حسين فى العراق للتقرب من الولايات

([١٠٦]) م. معادل، المصدر السابق، ص ٢١٢.

المتحدة وشياخات الخليج العربى باعلانـه غـزو ايـران. استطاع الخومينى الاعلان، عن حق، ان الثورة مهددة مـن قوى متحالفة مع الامبريالية، وعـن خطـأ، انهـم وحـدهم يستطيعون الدفاع عنها. وليس عجيبا أن الخومينى نفسه اشار الى الهجوم " كمنحة آلهية "، سمحت الحاجة الـى التحريـك الجماهيرى الواسع ضد القوى الغازيـة فـى شـتاء ٨٠ - ١٩٨١ لمؤيديه بتبرير احكام سيطرتهم على حساب كل مـن اليسار وجماعة بن صدر، حتى استطاعوا فى يونيو ويوليو ١٩٨١ أن يهزموها بتأسيس هيكل شمولى تقريبا.

ولكن لماذا لم يكن اليسار قادرا على اعاقـة تقـدم الحزب الجمهورى الاسلامى؟ فبالنظر الى الوراء، غالبا مـا أدعى أن الخطأ يقع فى فشل اليسار أن يفهـم فـى الوقـت المناسب الحاجة الى التحالف مـع البرجوازيـة الليبراليـة التقدمية، وهذه هى رؤية هاليداى، (١٠٧) ولكن، وكما رأينـا، كانت البرجوازية الليبرالية بقيادة بازارجان وبعد ذلـك بـن صدر تتحالف مع الخومينى فى حملته ضد مجالس الشـورى

---

(١٠٧) ف. هاليدي ، المصدر السابق، ص ٥٧.

فى المصانع وحملته لتطهير الجامعات، وما فرق بينهم هـو من الذى سيجنى ثمار نجاحاتهم ضد اليسار، وقد كان ذلـك فقط عندما اكتشف الخومينى انه قـد نسـى أن بـن صـدر (وليس بازارجان الذى استمر حزبه فى نشـاطه الشـرعى ولكن بلا تأثير) اشترك مع اليسار الاسلامى فى مجاهـدى خلق فى محاولة فاشلة للاطاحة بالنظام.

كان الخومينون قادرون على التفوق علـى القطـاع الليبرالى المزعوم من البرجوازية لانهـم، بعـد هـزيمتهم لليسار، أستطاعوا عنـد ذاك اسـتخدام الدعايـة المعاديـة للامبريالية لتحريك قطاعـات مـن فقـراء الحضـر ضـد البرجوازية القائمة، لقد استطاعوا أن يلعبـوا علـى الفجـوة الواضحة بين الحياة البائسة للجماهير وأنماط الحياة "الغيـر اسلامية " للاغنياء ولم يستطع اليسار مقاومة المناورة مـن خلال مساندة القطاع الغنى المتفرنج من البرجوازية.

كان السبيل لهزيمة الخومينى حقا يقـع فـى تعبئـة العمال للصراع من أجل مصلحتهم الخاصة، كان ذلك مـن

الممكن أن يدفع القطاع الليبرالى المزعوم مـن البرجوازيـة والحزب الجمهورى الاسلامى الى موقف دفاعى.

لعب صراع العمال دورا حيويا فى الاطاحة بالشاه، وبعد ذلك كانت توجد صراعات هامة فى المصانع الكبيـرة بين مجالس المصانع والادارة. ولكن بمجرد أن انزاح الشاه، نادرا ما أنتشرت صراعات العمال خارج حدود المصـانع المتفرقة للمنافسةعلى قيادة المقهورين والمستغلين، لم تصبح مجالس المصانع أبدا مجالسا للعمال علـى نمـط سـوفيتات روسيا فى ١٩٠٥ و١٩١٧، [١٠٨] وبسبب هذا الفشل لم تفلـح أبدا فى جذب جمهور العمال العاديين والحرفيين المسـتقلين وفقراء التجار وراءها - أى حثالـة البروليتاريـا - الـذين عباءهم الخومينيون ضد اليسار تحت شعارات دينية.

كان هذا الضعف فى حركة العمـال جزئيـا نتيجـة لعوامل موضوعية، فكان هناك أنقسام داخل الطبقة العاملـة

([١٠٨]) تخطئ مريم بويا في استخدام اصطلاح " المجالس العمالية فـي ترجمة مجالس الشورى، فيمقالتها ، إيران ١٩٧٩ تحيا الثـورة يحيـا الإسلام؟، في بروفات ثورية (لندن ، ١٩٨٧).

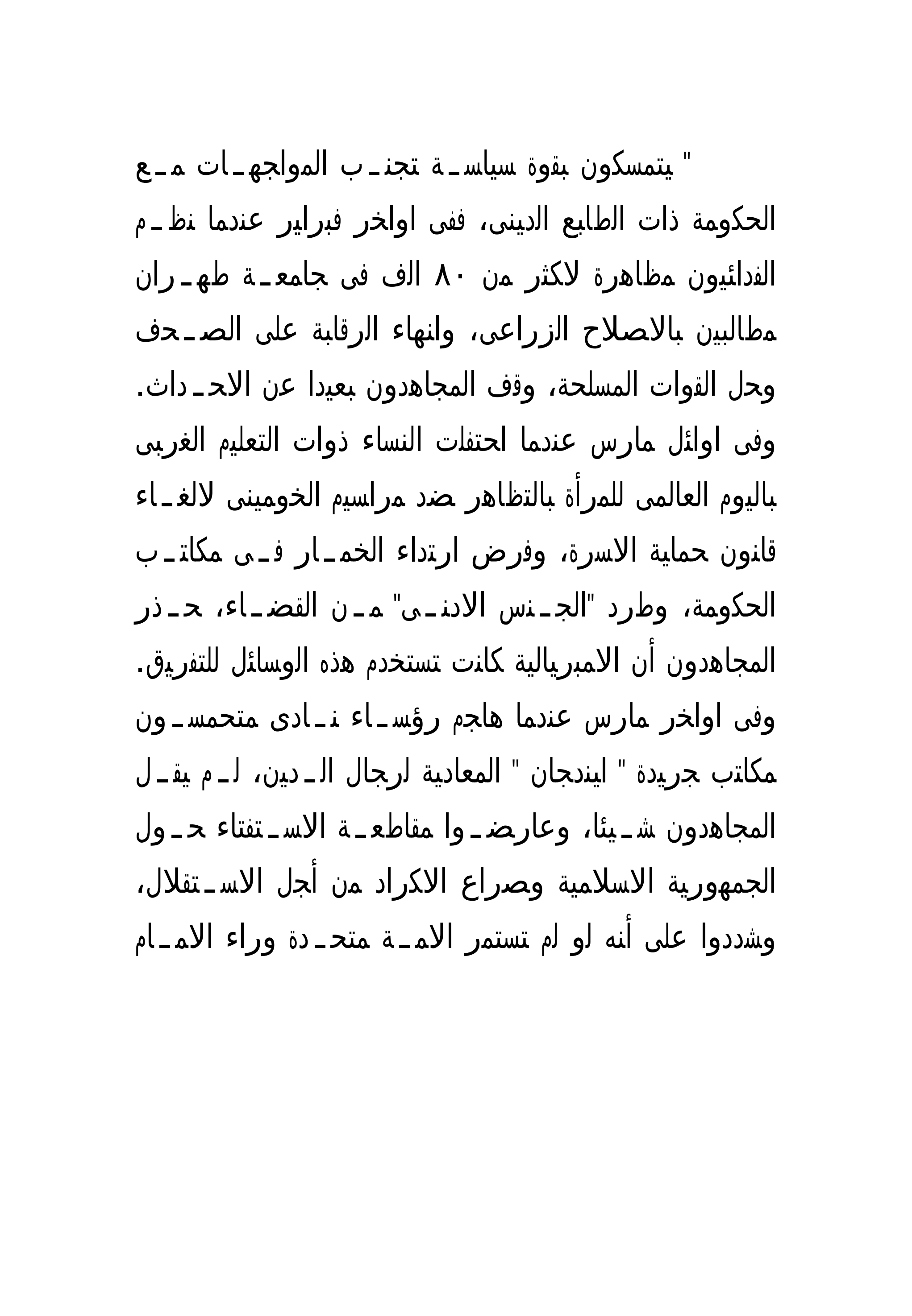
بين أولئك العاملين فى القطاع الحديث فى المصانع الكبيـرة وهؤلاء العاملين فى القطاعات التقليدية فى الورش الصغيرة (والتى معظمها كانت تدار من أصحابها أو أعضاء العائلـة). وكانت المناطق التى يسكنها العمال غالبا يسودها عـدديا القطاعات البائسة من البرجوازية الصغيرة، فقد كان يوجـد ٧٥٠ الف تاجر ومن الطبقة الوسطى، وتجار صـغار، فـى طهران فى ١٩٨٠ فى مقابل ٤٠٠ الف عامل فى المؤسسات الصناعية الكبيرة. [١٠٩] وكانت أعداد كبيرة جدا من العمـال جديدة على الصناعة ولديهم تراث ضـئيل مـن الصـراع الصناعى - ٨٠% منهم كانوا من أصول ريفية وكـل عـام تغرق الاحياء بحوالى ٣٣٠ الف من الفلاحين السابقين، [١١٠] وكان ثلثهم فقط متعلما ولذلك كان قادرا على قراءة الاعـلام اليسارى، برغم أن ٨٠% كانوا يمتلكون جهاز تليفزيونـات. وأخيرا كان حجم القمع فـى ظـل الشـاه يعنـى أن عـدد المناضلين الموجودين فى أماكن العمل كان قليلا جدا.

([١٠٩]) وفقا لـ م. موعادل، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

([١١٠]) أ . بيات. المصدر السابق، ص ٤٢.

ولكن عجز حركة العمال عن حيازة قيادة الحركـة الجماهيرية الاوسع لم يكن نتيجة لعوامل مموضوعية فقـط، ولكنه كان نتاجا للاخطاء السياسية لقوات الجنـاح اليسـارى الهائلة التى كانت موجودة فى الشهور التالية للثـورة. تمتـع الفدائيون ومجاهـدى خلـق بمـؤتمرات حضـرها الالاف، وحصل المجاهدون على ربع الاصوات فـى طهـران فـى انتخابات ربيع ١٩٨٠ ولكن تراث المجاهدين والفدائين كـان يعتمد على العصابات، وأهتموا قليلا بالنشاط حول المصانع، كانت مواقعهم القوية فى الجامعات وليسـت فـى المنـاطق العمالية. هكذا كان لدى مجاهدى خلق خمسة جبهات للنشاط: منظمة سرية للاعداد للصراع المسلح وجبهة شبابية وجبهـة المرأة وجبهة البازاريين وجبهة العمال وكان من الواضح أن الاولوية ليست لجبهة العمال.

وأكثر من ذلك، لم يكن لـدى المنظمـات اليسـارية الكبيرة الكثير، حتى عندما أنضم اليها مناضلين من العمـال، ففى الاشهر الثمانية الاولى والحاسمة من الثورة وجهوا فقط انتقادات محدودة للتظام الجديد والتى وجهت بشكل أساسـى حول فشله فى تحدى الامبريالية. كان مجاهدوا خلق مثلا:



" يتمسكون بقوة سياسة تجنب المواجهات مع الحكومة ذات الطابع الدينى، ففى اواخر فبراير عندما نظم الفدائيون مظاهرة لاكثر من ٨٠ الف فى جامعة طهران مطالبين بالاصلاح الزراعى، وانهاء الرقابة على الصحف وحل القوات المسلحة، وقف المجاهدون بعيدا عن الاحداث. وفى اوائل مارس عندما احتفلت النساء ذوات التعليم الغربى باليوم العالمى للمرأة بالتظاهر ضد مراسيم الخومينى لالغاء قانون حماية الاسرة، وفرض ارتداء الخمار فى مكاتب الحكومة، وطرد "الجنس الادنى" من القضاء، حذر المجاهدون أن الامبريالية كانت تستخدم هذه الوسائل للتفريق. وفى اواخر مارس عندما هاجم رؤساء نادى متحمسون مكاتب جريدة " ايندجان " المعادية لرجال الدين، لم يقل المجاهدون شيئا، وعارضوا مقاطعة الاستفتاء حول الجمهورية الاسلامية وصراع الاكراد من أجل الاستقلال، وشددوا على أنه لو لم تستمر الامة متحدة وراء الامام

الخومينى فربما يغرى ذلك المستعمرين على تكرار محاولتهم فى ١٩٥٣. "[١١١]

وفى أغسطس وقف المجاهدون صـامتين عنـدما هاجمت عصابات مسلحة مكاتب الفدائيين، وتجنبـوا تحـدى مرشحى الحزب الجمهورى الاسلامى فى انتخابـات ١٩٧٩ لمجلس الشورى (الفقه) وبعد احـتلال سـفارة الولايـات المتحدة أصبح اليسار أقل انتقادا للخومينى من ذى قبل. وكان الخومينى:

قادرا على شق المعارضة اليسارية تمامـا. وأعلـن الان الخومينى أن كل المشكلات التى تنشأ فى المصانع وفى أوساط النساء، والاقليات القومية ترجـع الـى الامبرياليـة الامريكية. وأن الامبريالية الامريكية هـى التـى تحـارب الحكومة فى كردستان، وفى طبريـز، وفـى تركمانسـارا وخزرستان. وأن النساء اللائى يعارضن القوانين الاسـلامية

([١١١]) أ. ابراهامين، المجاهدون الإيرانيـون، المصـدر السـابق ص ١٨٩.

عمـيلات للصـهيونية والولايـات المتحـدة. وأن العمـال المعارضين للشورى عملاء للامبريالية.

سقط حزب تودة وراء رؤية الخومينى وأيد سياسـتة وانفصلت أيضا عن الصراع أكبر المنظمـات اليسـارية - الفدايئين، والمجاهدين والبايكار - منعـزلين عـن العمـال المناضلين، والنساء، والاقليات القومية، والذين تمتلـك فـى اوساطهم حضورا كبيرا." [١١٢]

استمر حزب توده (الشـيوعى المؤيـد للـروس) وغالبية الفدائيين فى تأييد الخومينى حتى عزز سلطته تمامـا فى ١٩٨٢، حيث انقلب ضدهم بعد ذلك.

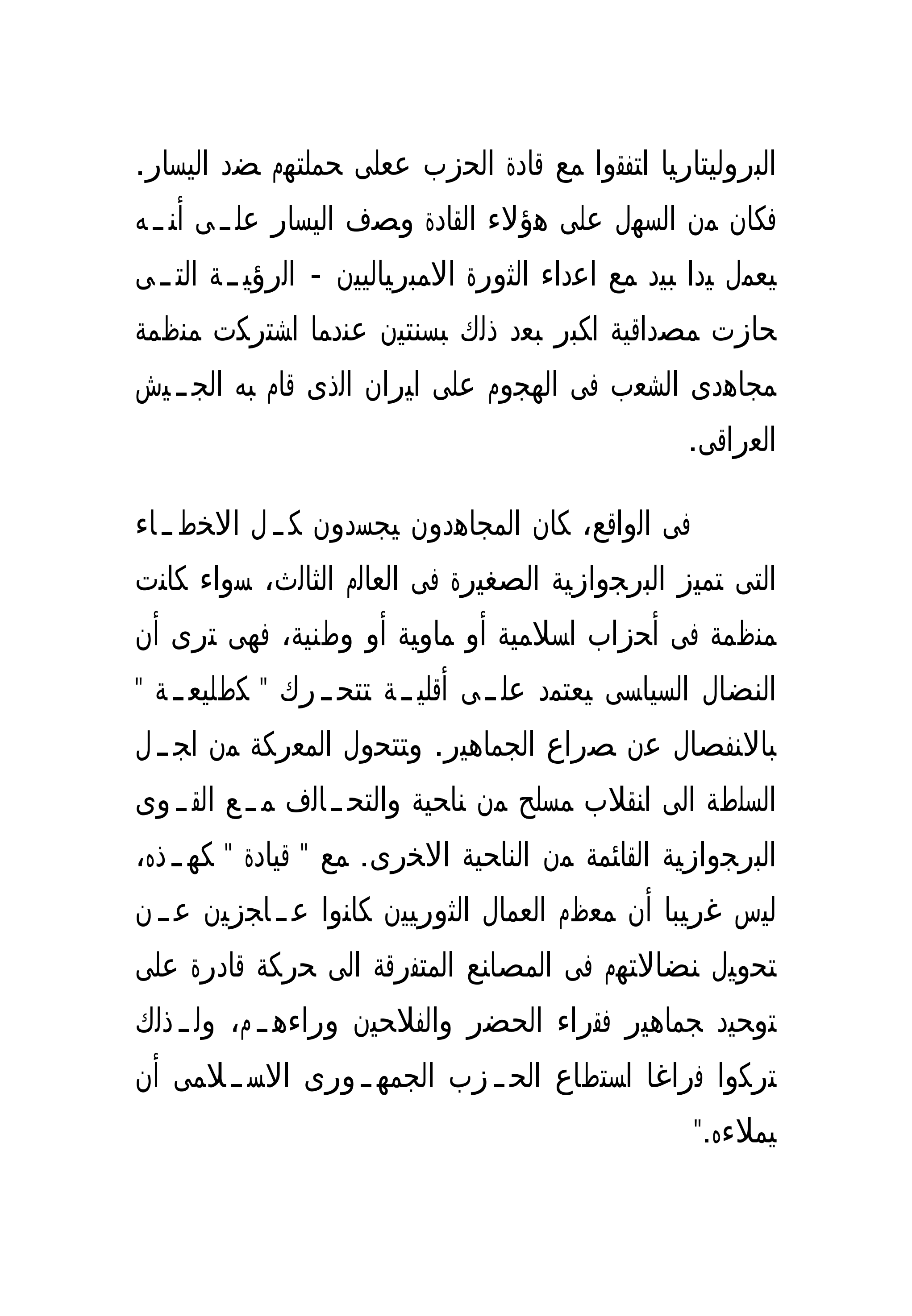
ومع مرور الوقت تراكمت أخطاء اليسـار. فبينمـا كفت غالبية الفدائيين عن كل انتقاداتها للنظام بعـد احتلالـه لسفارة الولايات المتحدة، انتقل مجاهدوا مجاهدوا خلق اخيرا الى الاتجاه المعاكس، معربين عن معارضتهم العلنية للنظـام بحلول اواخر ١٩٨٠ (أى بعد هجوم النظام على مؤيـديهم

([١١٢]) م. بويا،المصدر السابق.

فى الجامعات). ولكن استراتيجيتهم فى حـرب العصـابات حينذاك أدت بهم الى ان يلعبوا مباشرة فى ايدى النظام مـن خلال الانضمام الى بن صدر لتوجيه صراع مباشر من أجل السلطة لم يكن له صلة على الاطلاق بالصـراعات اليوميـة للجماهير. وعندما فشلت المظاهرات الجماهيرية فى اسـقاط النظام، هرب قادتهم الى المنفـى، بينمـا قـام مناضـلوهم السريون بهجمات مسلحة على زعماء النظام: قـدم تفجيـر مكاتب الحزب الجمهورى الاسلامى فى يونيو ١٩٨١، والذى نتج عنه موت أيات ا بيهاشتى(رئيس الحزب الجمهورى) والعديد من قادة وكوادر الحزب الجمهورى الاسلامى، عذرا "للعلماء" لفرض عهد من الارهاب ضد المعارضة لم تحـدث فى تاريخ ايران المعاصر. [١١٣]

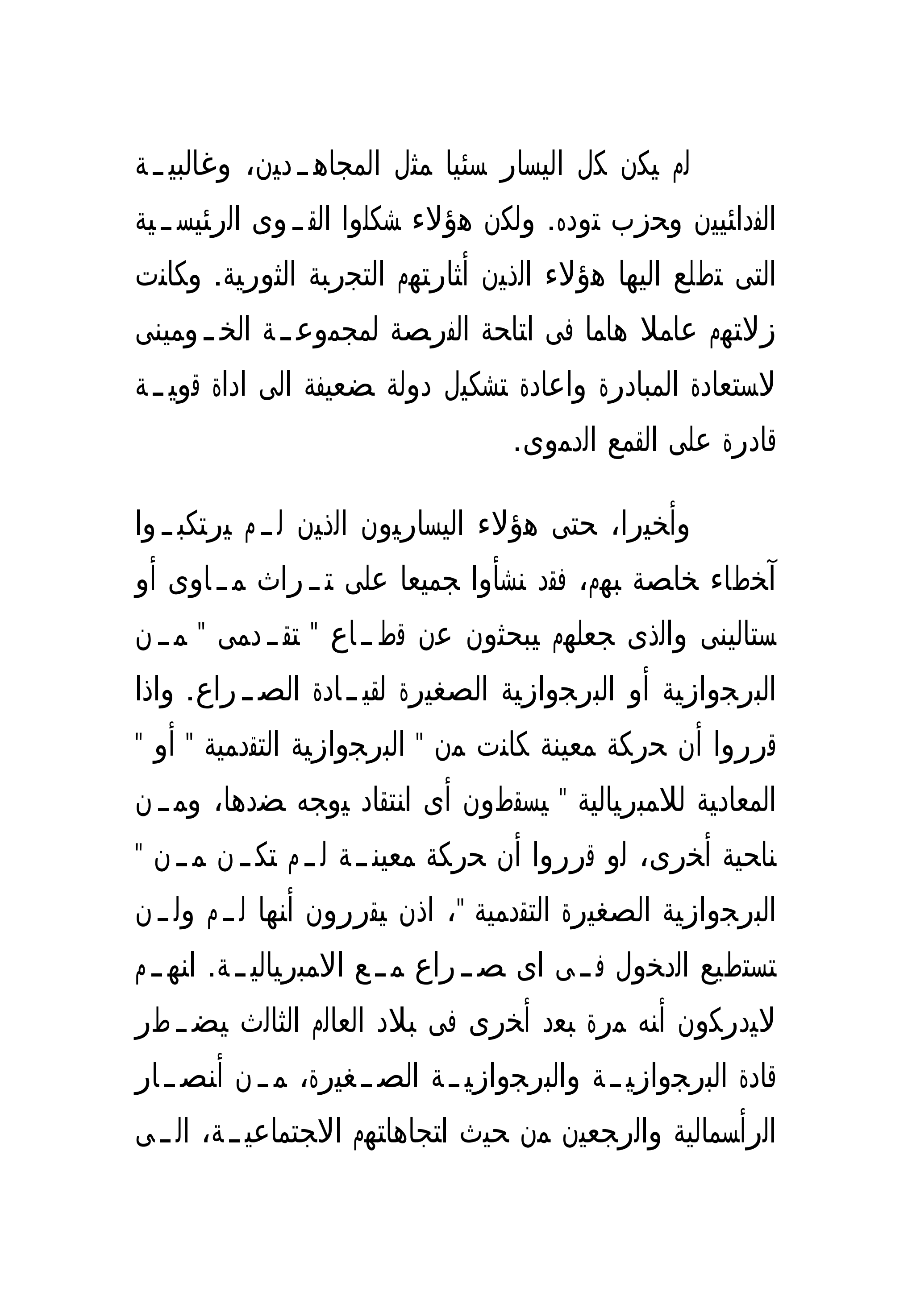
كان اليسار يتحد مع ممثل البرجوازية القائمـة فـى حملة الاغتيالات موجهة ضد شخصيات ترى الجماهير انهـا تلعب دورا ضد الامبريالية. ولـم يكـن غريبـا أن فقـراء البرجوازية الصغيرة ومؤيدى الحزب الجمهورى من حثالـة

([١١٣]) م. بويا ، المصدر السابق، ص ٢١٦.



البروليتاريا اتفقوا مع قادة الحزب على حملتهم ضد اليسار. فكان من السهل على هؤلاء القادة وصف اليسار علـى أنـه يعمل يدا بيد مع اعداء الثورة الامبرياليين - الرؤيـة التـى حازت مصداقية اكبر بعد ذلك بسنتين عندما اشتركت منظمة مجاهدى الشعب فى الهجوم على ايران الذى قام به الجـيش العراقى.

فى الواقع، كان المجاهدون يجسدون كـل الاخطـاء التى تميز البرجوازية الصغيرة فى العالم الثالث، سواء كانت منظمة فى أحزاب اسلامية أو ماوية أو وطنية، فهى ترى أن النضال السياسى يعتمد علـى أقليـة تتحـرك " كطليعـة " بالانفصال عن صراع الجماهير. وتتحول المعركة من اجـل السلطة الى انقلاب مسلح من ناحية والتحـالف مـع القـوى البرجوازية القائمة من الناحية الاخرى. مع " قيادة " كهـذه، ليس غريبا أن معظم العمال الثوريين كانوا عـاجزين عـن تحويل نضالاتهم فى المصانع المتفرقة الى حركة قادرة على توحيد جماهير فقراء الحضر والفلاحين وراءهـم، ولـذلك تركوا فراغا استطاع الحـزب الجمهـورى الاسـلامى أن يملاءه."


لم يكن كل اليسار سئيا مثل المجاهـدين، وغالبيـة الفدائيين وحزب توده. ولكن هؤلاء شكلوا القـوى الرئيسـية التى تطلع اليها هؤلاء الذين أثارتهم التجربة الثورية. وكانت زلاتهم عاملا هاما فى اتاحة الفرصة لمجموعـة الخـومينى لاستعادة المبادرة واعادة تشكيل دولة ضعيفة الى اداة قويـة قادرة على القمع الدموى.

وأخيرا، حتى هؤلاء اليساريون الذين لـم يرتكبـوا آخطاء خاصة بهم، فقد نشأوا جميعا على تـراث مـاوى أو ستالينى والذى جعلهم يبحثون عن قطـاع " تقـدمى " مـن البرجوازية أو البرجوازية الصغيرة لقيـادة الصـراع. واذا قرروا أن حركة معينة كانت من " البرجوازية التقدمية " أو " المعادية للامبريالية " يسقطون أى انتقاد يوجه ضدها، ومـن ناحية أخرى، لو قرروا أن حركة معينـة لـم تكـن مـن " البرجوازية الصغيرة التقدمية "، اذن يقررون أنها لـم ولـن تستطيع الدخول فـى اى صـراع مـع الامبرياليـة. انهـم لايدركون أنه مرة بعد أخرى فى بلاد العالم الثالث يضـطر قادة البرجوازيـة والبرجوازيـة الصـغيرة، مـن أنصـار الرأسمالية والرجعين من حيث اتجاهاتهم الاجتماعيـة، الـى

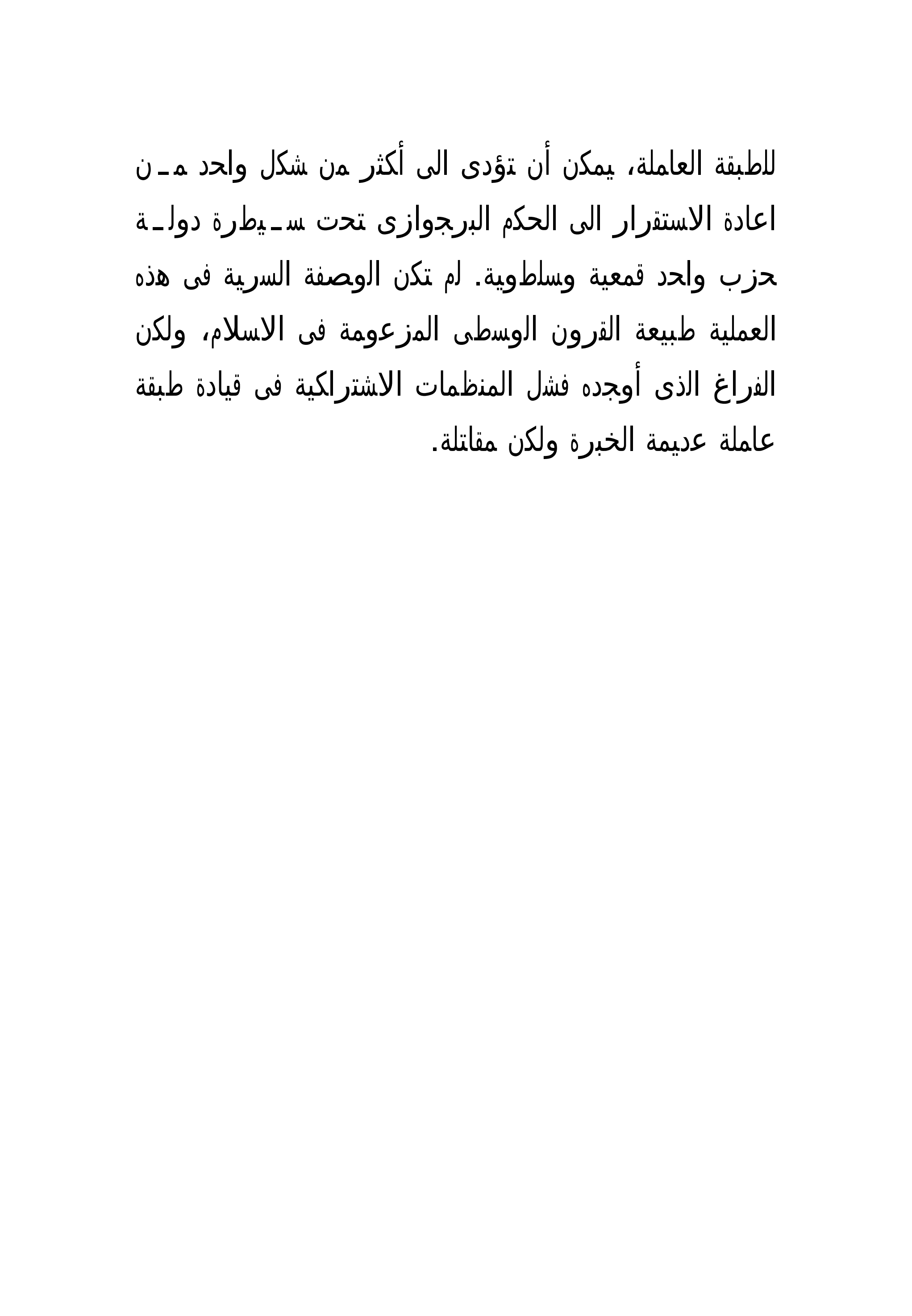
الدخول فى صراعات مع الامبريالية رغما عنهم. كان ذلـك صحيحا،على سبيل المثال، بالنسبة لكمال اتاتورك فى تركيا، وجريفز ومكاريونس فى قبرص، وكينياتا فى كينيا، ونهـرو وغاندى فى الهند، مؤخرا بالنسبة لصدام حسين فى العراق. وغالبا ما وفرلهم ذلك شعبية لدى اولئك الذين يحرصون على استغلالهم واضطهادهم.

لايستطيع اليسار منافسة ذلك سواء من خـلال مـدحهم كابطال " تقدمين " و" معادين للامبريالية "، أو مـن خـلال التظاهر بأن المواجهة مع الامبريالية ليست هامة. بدلا مـن ذلك، على اليسار أن يحافظ على استقلاليته السياسـية بـأى تكلفة، مؤكدا على النقدالعلنى لهـؤلاء الزعمـاء لكـل مـن سياساتهم المحلية ولاخطائهم الحتميـة فـى الصـراع مـع الامبريالية، فى نفس الوقت التى يعلن أننـا نريـد هزيمـة الامبريالية اكثر بكثير مما يريدون هم.

ولسوء الحظ، كان اليسار الايرانى ككل يتخبط من خطأ الى أخر، ولذلك انتهوا الى اتخاذ موقف محايد فى الشـهور الاخيرة من حرب الخليج الآولى عنـدما تـدخل الاسـطول

امريكى مباشرة لترجيح كفة العراق ضد ايران. ولم يفهمـوا أنه كانت هناك طرق لاتخاذ موقف معاد للامبرياليـة ربمـا ساعد على تقوية الصراع ضد النظام الايرانى فى الـداخل (استنكاررفض النظام لاجبار الاغنياء علـى دفـع تكـاليف الحرب، انتقاد تكتييكات "الموجه البشرية " الوحشية والعبثية من ارسال مشاهد بأسلحة خفيفة فى هجمات جبهويـة علـى مواقع عراقية محصنة بقوات كبيرة،ادانة فشل النظـام فـى وضع برنامج يحرص العمال العراقين والاقليات على الثورة ضد صدام حسين، استنكار الدعوة مـن أجـل تعويضـات الحرب حيث تجعل الشعب العراقى يدفع ثمن جرائم الحكام، وهكذا وبدلا من ذلك تتبنوا موقفا عـزلهم تمامـا عـن أى شخص فى ايران يتذكر ان الامبريالية ارهقت الـبلاد فـى الماضى ويرى انها تفعل ذلك ثانية حين تسنح لها فرصة.

لم يكن اذن انتصار الخومينى حتميا، ولايبرهن كذلك على أن الحركة الاسلامية قوة رجعية متميزة يجـب علـى اليسار أن يعد نفسه للتحالف مع الشيطان الاميرياليـة (بـل والشيطان الرجيم) وحلفائه فى الداخل فى مواجهتها. انهـا فقط تؤكد أن الانتفاضة الثورية، فى غيـاب قيـادة مسـتقلة



للطبقة العاملة، يمكن أن تؤدى الى أكثر من شكل واحد مـن اعادة الاستقرار الى الحكم البرجوازى تحت سـيطرة دولـة حزب واحد قمعية وسلطوية. لم تكن الوصفة السرية فى هذه العملية طبيعة القرون الوسطى المزعومة فى الاسلام، ولكن الفراغ الذى أوجده فشل المنظمات الاشتراكية فى قيادة طبقة عاملة عديمة الخبرة ولكن مقاتلة.

تناقضات الحركة الاسلامية: السودان

ليست ايران وحدها هى التى سيطر فيها الاسلاميون على السلطة. ففى السنوات القليلة الاخيرة، أصبح للاخـوان المسلمين فى السودان النفوذ الحاسم فى الحكومة العسـكرية من خلال الجبهة الوطنية الاسلامية.

بدأ الاخوان المسلمون فى السودان فى الاربعينيـات كامتداد لحركة الاخوان المسلمين التى أسسها البنا فى مصر، ولكنها اكتسبت وجودا مستقلا بنظريات خاصـة بهـا، بعـد قضاء عبد الناصر على المنظمة الام فى الخمسنيات. وترجع اصول التنظيم الى جامعة الخرطوم، حيث تعاركت الحركـة مع الشيوعيين للسيطرة على الطـلاب. أدى ذلـك بقيادتهـا الاولى الى تأكيد العناصر الراديكالية فى الافكار الاسـلامية ولكن، فى الستينات نجحت القيادة الجديدة بقيادة حسن الترابى فى توسيع قاعدة المنظمة، مضيفة ألاف الاعضاء الجدد الى ال٢٠٠٠ عضو الاساسيين فيها.

"شهدت عضويتها أيضا تنوعا كبيرا من خلال ضـم العلماء، وأئمة المساجد، والتجار، وقادة الطـرق الصـوفية وأخرين برغم أن نسسبة العناصر الغير حاصلة على تعلـيم حديث ظلت صغيرة فى الاعضاء النشطين ".[١١٤]

وتزايد أعضائها اكثر فى الثمانينات بفضـل ظهـور قطاع مالى اسلامى بتشجيع الدولة:

"فقد ساعدتهم سياسة التوظيف بالبنك الاسلامى التى فضلت المتدينين. وأدت المؤسسات الاسلامية الـى ارتقـاء طبقة جديدة تماما من رجال الاعمال الذين اصبحوا اغنيـاء فى يوم وليلة وفتحت مجالات من التحرك الاقتصادى للكثير ممن كانوا سيصبحون، فى اعلى تقـدير، مـوظفين كبـار بالخدمة المدنية ".

لم تكن جماعة الاخوان المسـلمين تمتلـك البنـوك الاسلامية - فقد كانوا يمولون من السـعودية ورأس المـال

([١١٤]) عبد الوهاب الافندي ثورة الترابي الإسلام والسلطة في السودان (لندن ١٩٩١)ص ٨٩.

المحلى.لكنها امتكلات قوة هائلة مـن خـلال قـدرتها علـى السيطرة على القروض والخدمات الاخـرى للعمـلاء. [115] تترجم ذلك فى التأييد الذى حصل عليه الاخوان بين بعـض الاغنياء الجدد وداخل ألة الدولة نفسها: " اسستمرت الحركة فى الاعتماد على مناضلى القاب، ومعظمهم مـن المهنيـين الحاصلين على تعليم حديث، ولكن بدأ خليط هائل من رجال الاعمال (أو مهنيين تحولوا الى تنفيذين) فى التميز،. [116]

فى انتخابـات ١٩٨٦ بعـد الاطاحـة بديكتاتوريـة النيمرى، حصلت جبهـة الاخـوان، أى الجبهـة الوطنيـة الاسلامية، على ٥، ١٨% من اجمالى الاصـوات، ومعظـم الاصوات حصلت عليها الاحزاب التقليدية. ولكنها حازت ما لايقل عن ٢٣ مقعدا من ٢٨ مقعدا التـى انتخبهـا خريجـو الجامعات فقط، واتضح فى الحال أن لديها تأييدا كافيا بـين قطاع من الطبقات الوسطى الحضرية ورجال الاعمال لتكون الحليف الطبيعى لشخصيات هامة فى القوات المسلحة. وفـى

([115]) المصدر السابق، ص ١١٦- ١١٧.

([116]) المصدر السابق، ص ١١٧.

انقلاب عام ١٩٨٩ استولى الجنرال البشير علـى السـلطة، ولكن بدا أن السلطة الحقيقية استقرت فـى أيـدى الجبهـة الوطنية الاسلامية. ومنذ ذلك الحين أصبحت الخرطوم أحـد مراكز الحركة الاسلامية العالميـة، وأحـد منـاطق جـذب المناضلين المنافسة لطهران والرياض.وبرغم ذلك، لم يكـن صعود الاخوان فى السودان الى السلطة سهلا، فقـد تكـرر تعرضها لفقد عدد كبير من أعضائها وكثيـر مـن قاعـدة تأييدها. ولكن من غير المحتمل أن يكون اسـتمرارها فـى السلطة مأمونا. سعى الترابى الى بناء نفوذ الاخوان، عندما كان منافسيه فى الحكومة، من خلال التحريض بين الطـلاب والطبقة الوسطى، والى حد ما بين العمال ولكنه بعـد ذلـك انتهز كل الفرص للمشاركة فى الحكومة بنفسه حتى يزيد من تأثير الاخوان داخل مؤسسات الدولة، وفعل ذلك للمرة الاولى فى أوائل الستينات. وقد ساعد تحريض الاخوان بين الطلاب على تحلل ثورة اكتوبر ١٩٦٤ التى قام بها الطلبة، ومهنيـى الطبقة الوسطى والعمال. وبعد ذلك استغلت تواجـدها فـى الحكومة الجديدة لتهدئة الموجة الثوريـة والضـغط لاعاقـة

الشيوعيين وكذلك جذبت اليها بعـض الطبقـات المحافظـة صاحبة الامتيازات.

واتبعت نفس المناورة مـرة ثانيـة بعـد الانقـلاب العسكرى الذى وضع الجينرال جعفر النميرى فى السلطة فى مايو ١٩٦٩. وقد اضطهد الاخوان مع الاحـزاب التقليديـة لبعض الوقت. ولكن فترة وجودها فى المعارضة سمحت لها باعادة بناء بعض التأييد الشعبى الذى فقدته أثناء تواجدها فى الحكومة، بسيطرتها على قيادة التحـريض حـول أحـوال الطلاب وقيادة انتفاضة فاشلة للطـلاب ضـد النظـام فـى ١٩٧٣.وبعد ذلك فى السبعينات تشبثت بعرض من النميرى "للمصالحة الوطنية " حتى تنضم الى نظامـه، مـع تحـول الترابى الى رجل قانون عسكرى، ومسئول عـن مراجعـة القوانين لجعلها تتفق مع الشريعة، [١١٧] وقد كانت هذه هـى الفترة التى استخدمت خلالها تطور القطاع المالى الاسـلامى لتثبت جذورها بين اصحاب رأس المال.وكان أيضا خـلال هذه الفترة أن بدأت فى كسب ضباط معينين فـى الجـيش.

([١١٧]) المصدر السابق، ص ١١٧.

وبرغم ذلك، خلقت هذه المناورات تـوترا مسـتمرا داخـل الاخوان وهددت بصورة متكررة قاعدة تأييدها الاوسع. فلـم تكن الكوادر الاساسية للاخوان منذ أوائل الخمسينات راضية على الاطلاق عن سلوك قادتها فى غرس قطاعات من النخبة التقليدية من الاغنياء الجدد. ولم يبد مطلقا أ ن منهج الترابى يتناسب مع النظرية الاصلية للطليعة الاسلامية التى تبنوهـا كطلبة ثوريين فى الاربعينات. وقد بدا لهم أنه يغذى الافكار الاسلامية حتى لكسب النفوذ (الاحترام) خاصة عندما بدأ فى تجنيد النساء، وتأييد حصولهن على حق التصويت وأصـدر كراسا يؤكد أن الاسلام "الحقيقى " يمنح المرأة نفس الحقـوق التى يمنحها للرجل. [١١٨] بالنسبة للمنشقين فقد بدا ببساطة أنه يحاول أن يسترضى الطبقات الوسطى العلمانية. وفوق كـل ذلك كان النميرى معروفا بسلوكه المنافى للاسلام وخاصـة شرب الخمر. وقد فضل مجموعة مـن الاعضـاء القـدماء

([١١٨]) بالنسبة لموقفه من المرأة انظر ملخص كتيبه في المصدر الساب ص ١٧٤.

ثورية شخص مثل سيد قطب، وانشقوا أخيرا ليشكلوا منظمة خاصة بهم لها علاقة بالاخوان المسلمين فى مصر. [(١١٩)]

بدأ التعاون مع نظام تقل شعبيته باستمرار فى احباط التأييد الاوسع للاخوان. وشهدت أوائل الثمانينات موجه عالية من الثورة الشعبية ضد النميرى، بمظاهرات طلابية فى ٨١-١٩٨٢، واضراب عمال السكة الحديد فى ١٩٨٢، وانقلابات قوات الجنوب فى ١٩٨٣ تبعها اضرابات القضاة والاطبـاء. وخلال هذه الفترة اصبح الاخوان هم القوة الوحيـدة خـارج النظام نفسه التى تؤيد نميرى، وبدأت تخشى أن تدمر جنبـا الى جنب مع الديكتاتور عندما سقط أخيرا.

عند ذاك استخدم النميرى ورقته الاخيرة. فقد أعلـن التطبيق الفورى للشريعة فى القانون. لم يكن لدى الاخـوان أى خيار الا أن يندفعوا بثقلهم وراءه فلاكثر من ثلاثين عاما كانت اجابتهم على كل مشكلات السودان هى "العـودة الـى الشريعة". وقد كانت الشعار البسيط والوحيـد الـذى يـربط

---

(١١٩) أفندي المصدر السابق.

رؤيتهم للاصلاح بالتقاليد الاسلامية للجماهير من خارج الطبقة الوسطى الحضرية. ولذلك بدأوا فى التحريض تأييدا لتطبيق الشريعة، وذلك فى مواجهة المعارضة من القضاه وجزء كبير من النظام القضائى. فشارك مليون شخص فى مظاهرة للاخوان تدعو الى مؤتمر عالمى يناقش تطبيق الشريعة، وساعد اعضاء الاخوان على توفير العنصر البشرى فى المحاكم الخاصة بتطبيق الشريعة التى أسسها النميرى.

رفع ذلك من جاذبية الاخوان وسط دوائر تقليدية معينة، خاصة عندما بدأت المحاكم فى القبض على بعض الشخصيات البارزة وفضح فسادهم.وزادت القوة الجديدة التى حازتها من جاذبيتها للعاملين فى آلة الدولة الذين يتطلعون للترقى ولكن بينما ادت هذه الاجراءات الى زيادة شعبية الاخوان بين بعض القطاعات التقليدية من السكان وبصورة اكبر بين من يديرون الدولة، فقد أدت ايضا الى زيادة هائلة فى التذمر ضدهم بين قطاعات أخرى، فقد اغضبت العلمانيين أو معتنقى الاديان الاخرى (غالبة السكان فى جنوب البلاد) دون أن تكون، فى الواقع، قادرة على تحسين

أحوال جماهير المسلمين. كانت اسطورة الشريعة هى أنهـا نظام قانونى جديد سيقضى على كل المظالم. ولكن لم يمكـن تحقيق ذلك من خلال اصلاح لم يكـن الا مجـرد اصـلاح قانونى، بل واصلاح قام به نظام فاسد لاجماهيرية له. ولذلك لم يعنى هذا القانون الجديـد حقـا الا اسـتخدام العقوبـات الشرعية، أى الحدود - قطع يد السـارق، رجـم الزانـى، وهكذا.

فى الستنيات استطاع الاخوان بنـاء أنفسـهم بـين الانتليجنيتسيا الحضرية جزئيا بسبب تغافلها عن هذا الجانب من الشريعة. كان الاعتقاد الاسلامى الذى قبله الترابى هو " الدوران حول المسألة بالتأكيد على أن الحدود تطبق فقط فى مجتمع اسلامى نموذجى الذى يختفى فيه الفقر تمامـا ".[١٢٠] ورغم ذلك، فالدليل الواضح تمامـا الان هـو أن الشـريعة بتغييرها للنظام القانونى اصـبحت وسـيلة اسـتخدام هـذه

(١٢٠) المصدر السابق، ص ١٦٣

العقوبات، وتحول الترابى ١٨٠ درجة مهاجما من يعلنون أنه لايمكن فرض الاخلاق على الناس من خلال التشريع. [(١٢١)]

وقد تواكب التذمر ضد محاكم الشـريعة التـذمر ضـد القطاع المالى الاسلامى، فقد ساعد ذلك بعض اعضاء الطبقة الوسطى الى الترقى لاعلى داخـل قطاعـات هامـة مـن الاعمال.ولكنه بالضرورة قد احبط اكثر منهم بكثير:

"نشأت حالة من التذمر فى وسط المجتمع التجـارى وبين ألاف من المتطلعين الذين اعتقدوا أن سبب حرمـانهم من فوائد النظام الجديد هو محسوبية الاخوان... وفى النهاية، كانت الادعاءات حول افساد الاخـوان للنظـام المصـرفى الاسلامى هى الوصمة الوحيدة الاكثر ضررا التى برزت فى عصر النميرى واسقطتهم فى نظر القطاعات الكبيـرة مـن السكان " [(١٢٢)]

([١٢١]) المصدر السابق، ص ١٦٣ – ١٦٤.

([١٢٢]) المصدر السابق، ص ١٢٢.

واخيرا، فان تحالف الاخوان مع النميرى حول تطبيـق الشريعة أجبرهم على التماس العذر له فى وقت كانت تتزايد الثورة ضده. حتى برغم تحرك النميرى أخيرا ضد الاخوان بضغط من الولايات المتحدة قبل أن تطيح به انتفاضة شعبية بقليل، وكان الاوان قد فات بالنسبة للاخـوان لان يرتبطـوا بالثورة بأى معنى.

لقد استمرت، لتحوز سلطة اكبر من ذى قبل بين يـديها خلال أربع سنوات، لأنها قدمت لضباط الجيش الذين انقلبـوا أخيرا ضد النميرى شيئا لم يكن لـدى أحـدا أخـر - ألاف الاعضاء النشطين المستعدين لمساندتهم فى حربهم الاهليـة الضارية ضد المتمردين غير الاسلامين فى جنـوب الـبلاد وفى قمعهم للتمرد فى مدن الشمال.

كان تحالف القوى العلمانية التى قـادت الثـورة ضـد النميرى قد اعاقته المصالح الطبقية المتناقضة، وعجز عـن تحويل التمرد الى حركة للتغيير الكامل للمجتمع، شاملة اعادة التوزيع الشاملة للثروة ومنح حق تقريرالمصير للجنـوب، أو عن القضاء عليه. سمح هذا للاخوان بطرح أنفسهم بقوة على

ضباط الجيش كالقوة الوحيدة القادرة على فرض الاستقرار، كاشفة عن قوتها بوضوح من خلال تنظيم مظاهرات كبيـرة ضد أى تنازلات لصالح متمردى الجنـوب. ولـذلك كـان استحواذ العسكرين على السلطة فى ١٩٨٩ مرة ثانية، حتـى تمنع اتفاقية سلام مقترحة بين الحكومة والمتمردين، وتأمرت مع الاخوان.

وبرغم ذلك، يعرف الاخوان فى السلطة اجابة واحـدة فقط لكل المشكلات التى تواجه النظام - وهى زيادة القمـع الوحشى المغاف فى لغة دينية. ففى مـارس ١٩٩١ أدخلـت الشريعة مرة ثانية مع الحدود. والأن تواكبت الحـرب فـى الجنوب مع القمع الموجه ضد الطوائف الغيرعربية الأخرى، شاملة الفيور والنوبيين، ذلك برغم ادعاءات الترابى، فى فترة المعارضة، بأنه يرفض أى شكل من الاسـلام يقـوم علـى الشوفينية العربية. وكان أحد نماذج القمع ضد من يعارضون الحرب فى الجنوب أحكام الاعدام التى صدرت منذ عـامين ضد مجموعة من االاشخاص فى دافور " لتحريضهم علـى الحرب ضد الدولة وحيازة اسلحة " وقد حكـم علـى أحـد

الاشخاص بالشنق وأن تصاب جثته علنـا بعـد ذلـك. [١٢٣] وعن اقتراب انتخابات النقابات والمؤسسات المهنيـة كانـت هناك تقارير عن الارهاب والاعتقالات والتعذيب. [١٢٤] حتى بعض المحافظين الذين أيدوا الحملة الاسلامية اصبحوا الأن يتعرضون للقمع. وكان النظام يحكم قبضته علـى الطـرق الصوفية " التى اعتقدوا أن احتفالاتها تربى التمرد الشـعبى "، [١٢٥] ويوجه معظم الناس اللوم الى النظام والاخوان علـى تفجير أحد مساجد الصوفية أوائل هذا العام والذى قتل فيـه ١٦ شخص.

وبرغم ذلك لم يوفرالقمع الاستقرار للنظام الا بصـورة مؤقتة، فقد كانت هناك سلسلة من أعمال العنف فى المدن منذ سنتين بسبب نقص السلع وزيـادة الاسـعار. ولـم تسـتمر بوادرالتحدي الأولى لصندوق النقد الدولي، حيث بدا تطبيـق

([١٢٣]) تقرير منظمة العفو الدولية، مذكور في تقرير وحدة معلومـات الإيكونوميست (السودان، ٤: ١٩٩٢).

([١٢٤]) المصدر السابق.

([١٢٥]) تقرير وحدة معلومات الايكونوميست ، السودان ، (٣: ١٩٩٣)

برنامج " الإنقاذ الاقتصادي " الذي يعتمد علـى " التحريـر الاقتصادي و " يتضمن كثير من السياسات التي يطالب بهـا الصندوق دائما" [١٢٦] وكذلك تجديد المفاوضات مع الصندوق، أدى ذلك إلى تدهور حاد في مستويات المعيشـة،وغضـب جماهيري أكثر وحركات تمرد أكثر.

فى نفس الوقت، فأن النظام معـزول عالميـا عـن الانظمة الاسلامية الرئيسية الأخرى: اختلاف الاخـوان مـع ايران لوقوفهم ضدها فى حرب الخليج الاولى، ومع السعودية بتأييدهم للعراق فى حرب الخليج الثانية. وربما لهذا السـبب حاولت أن تطرح نفسها كعامل جذب للاسلاميين فى مناطق أخرى الذين لم يتأثروا بهاتين الدولتين وبالاخوان المسـلمين المصرين - حتى برغم أن سياسات الترابى كانـت، لمـدة ثلاثين عاما، امتدادا للثورية التى دافعت عنها هذه الجماعات الاسلامية.

([١٢٦]) وحدة معلومات الايكونوميست السودان (١٩٩٣-١٩٩٤)

ورغم ذلك فان الاخوان السودانيين انفسـهم يقعـون تحت ضغط هائل، فتوجـد اشـاعات أن الجبهـة الوطنيـة الاسلامية ربما تنشق الى جانبين، مع تهمـيش المنـدفعين، واشتراك المعتدلين نسبيا مع الاجنحة المحافظة مـن حـزب الامة والحزبين التقليديين الرئيسيين. ويوجد انقسامات بـين الجيل الأول من اعضاء الجبهة الوطنية الاسلامية المستعدين للتواجد جنبا الى جنب مع الاحزاب العلمانية والمتحمسين من الشباب الغير قابل للمساومة. [127]

نقطة أخيرة جديرة بالذكر عن السـودان. لـم يكـن صعود الاخوان الى السلطة هناك نتاجا لقـوة خرافيـة مـا لديها.بل أن اسباب ذلك تقع فى فشل القوى السياسية الاخرى أن تطرح حلا للأزمة العميقة والمتفاقمة فـى الـبلاد. ففـى الخمسينات والستينات كان للحزب الشيوعى قوة اكبـر مـن الاخوان.ونافس الاخوان على التأثير بين الطلبة وكـان لهـم اتباع بين نقابيى المدن.ولكنه فـى ٦٤ - ١٩٦٩ اختـار أن يستخدم هذا النفوذ، ليس لتقديم برنامج ثورى للتغيير، ولكـن

([127]) تقرير وحدة معلومات الإيكونوميست ، السودان، (١ :١٩٩٣)

للدخول فى حكومة غير ثورية، التى انقلبت عليهم بعد ذلـك بمجرد أن هدأت موجة الثورة الشعبية.لقد كان تأييد الاخوان للنميرى تحديدا فى السنوات الاولى لحكمه هو الذى منحهـا الفرصة لاحراز السـبق فـى الجامعـة وتحطـيم قاعـدة الشيوعيين.

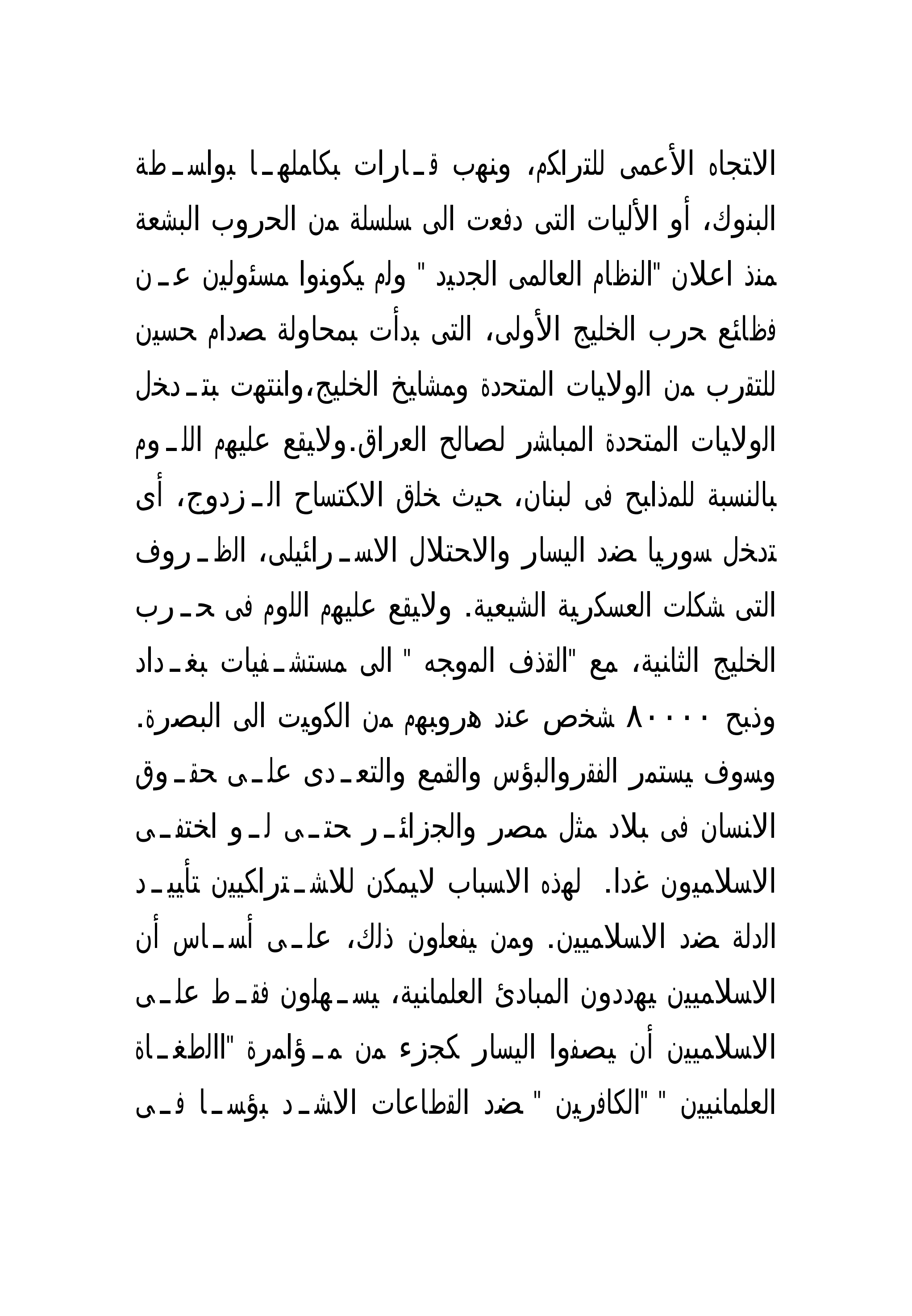
خاتمة:

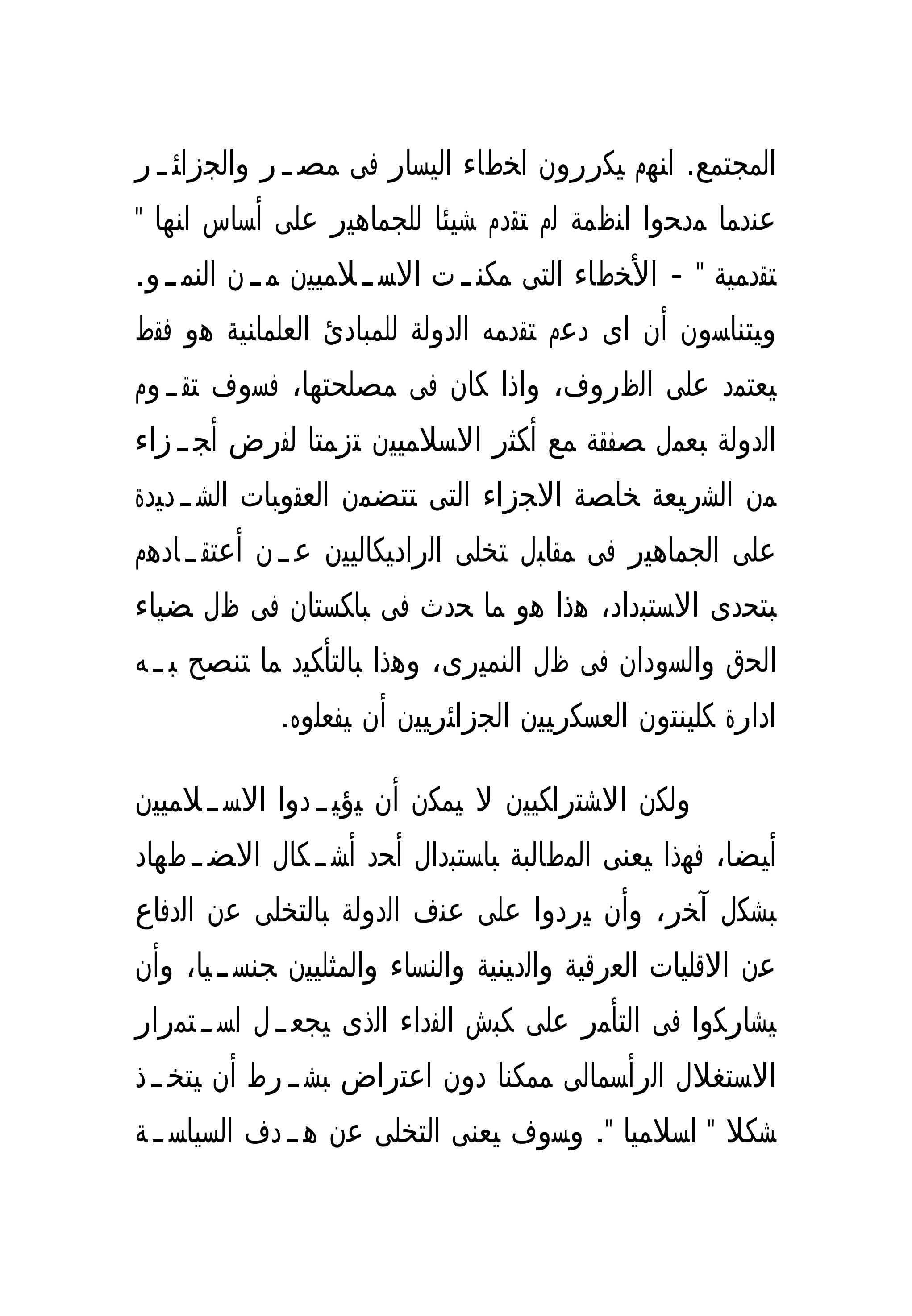
لقد أخطاء الاشـتراكيون بـالنظر الـى الحركـات الاسلامية على أنها اوتوماتيكيا "رجعية " و"فاشية " أو أنهـا أوتوماتيكيا " معادية للامبرياليـة " و"تقدميـة " ان الحركـة الاسلامية الراديكالية، بمشروعها فى اعادة تشكيل المجتمـع على النموذج الذى اقامه محمد فى القرن السـابع بـالجزيرة العربية، فى الواقع هى "يوطوبيا " نابعة من قطاع بائس من الطبقة الوسطى الجديدة. وكما فى أى "يوطوبيـا برجوازيـة

صغيرة "[128] ،فان مؤيديها فى الممارسة، يواجهون الاختيار بين محاولات بطولية عبثية لفرضها فى مواجهة اولئك الذين يديرون المجتمع الحالى، أو المساومة معهم، بتـوفير طـابع ايديولوجى زائف لاستمرار القمع والاستغلال. وهذا هو حتما ما يؤدى الى الانشقاقات بين الجناح الراديكالى الارهابى من الحركة الاسلامية من جانب، والجناح الاصلاحى من الجانب الأخر.وهذا هو أيضا ما يدفع بعض الراديكاليين الى التحول عن استخدام السلاح فى محاولة تأسيس مجتمع بدون "طغاه " الى استخدامه لفرض اشكال السـلوك "الاسـلامى " علـى الأفراد.

لايمكن للاشتراكيين اعتبـار طـوبيى البرجوازيـة الصغيرة كأعدائنا الاساسيين فهم ليسوا المسئولين عن النظام الرأسمالى العالمى أى قمع ألاف الملايين من البشر من أجل

([128]) كان هذا وصفا صحيحا لأفكار مجاهدي خلق طرحه ذلك الجناح من القيادة والعضوية الذي انشق في وسط السبعينات ليكـون تنظـيم بايكار. ولكن للأسف ظل هذا التنظيم في إطار أفكار حرب العصابات والماوية بدلا من الماركسية الثورية.


الاتجاه الأعمى للتراكم، ونهب قـارات بكاملهـا بواسـطة البنوك، أو الأليات التى دفعت الى سلسلة من الحروب البشعة منذ اعلان "النظام العالمى الجديد " ولم يكونوا مسئولين عـن فظائع حرب الخليج الأولى، التى بدأت بمحاولة صدام حسين للتقرب من الولايات المتحدة ومشايخ الخليج،وانتهت بتـدخل الولايات المتحدة المباشر لصالح العراق.ولايقع عليهم اللـوم بالنسبة للمذابح فى لبنان، حيث خلق الاكتساح الـزدوج، أى تدخل سوريا ضد اليسار والاحتلال الاسـرائيلى، الظـروف التى شكلت العسكرية الشيعية. ولايقع عليهم اللوم فى حـرب الخليج الثانية، مع "القذف الموجه " الى مستشـفيات بغـداد وذبح ٨٠٠٠٠ شخص عند هروبهم من الكويت الى البصرة. وسوف يستمر الفقروالبؤس والقمع والتعـدى علـى حقـوق الانسان فى بلاد مثل مصر والجزائـر حتـى لـو اختفـى الاسلاميون غدا. لهذه الاسباب لايمكن للاشـتراكيين تأييـد الدلة ضد الاسلاميين. ومن يفعلون ذلك، علـى أسـاس أن الاسلاميين يهددون المبادئ العلمانية، يسـهلون فقـط علـى الاسلاميين أن يصفوا اليسار كجزء من مـؤامرة "االطغـاة العلمانيين " "الكافرين " ضد القطاعات الاشـد بؤسـا فـى

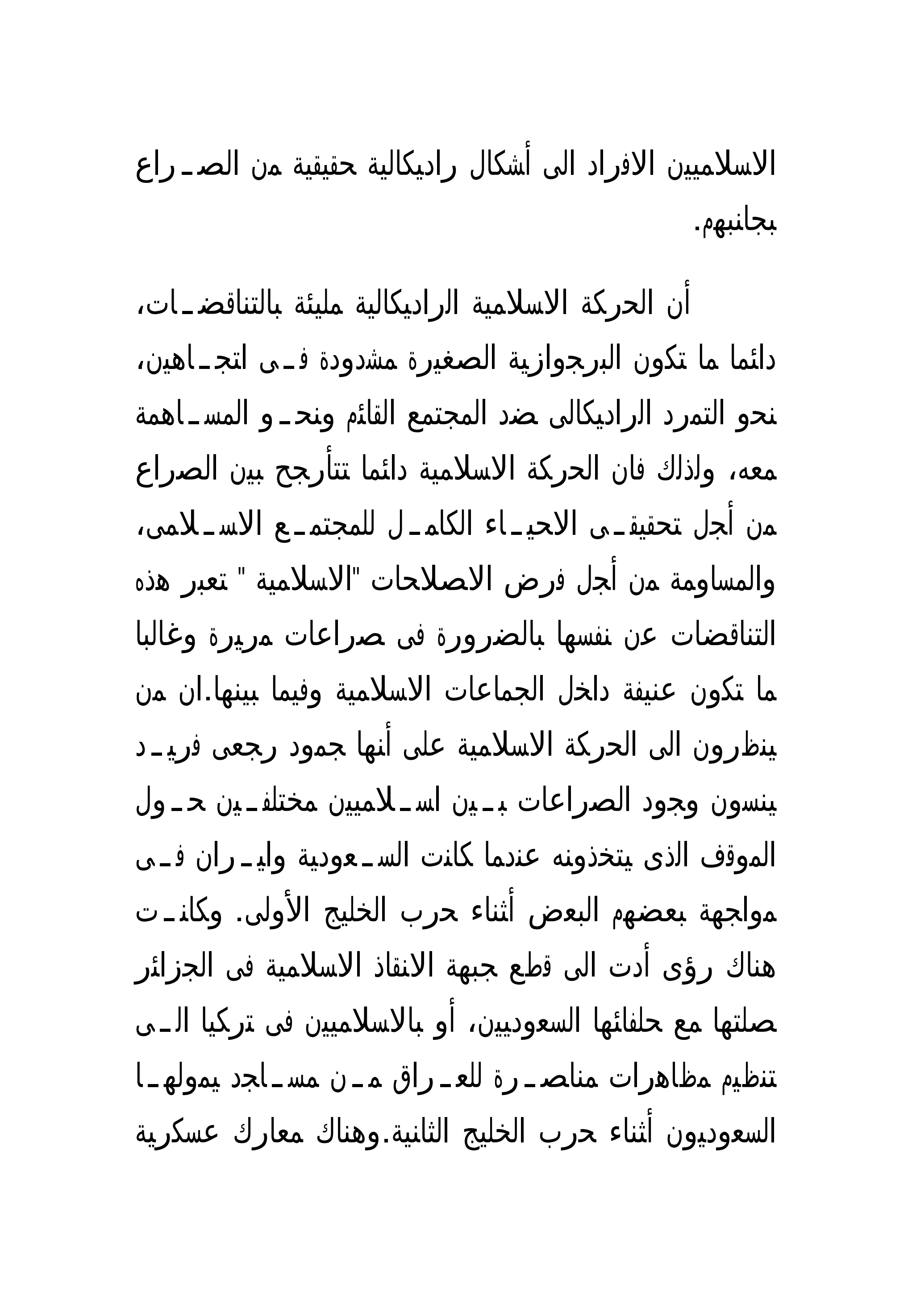


المجتمع. انهم يكررون اخطاء اليسار فى مصـر والجزائـر عندما مدحوا انظمة لم تقدم شيئا للجماهير على أساس انها " تقدمية " - الأخطاء التى مكنـت الاسـلاميين مـن النمـو. ويتناسون أن اى دعم تقدمه الدولة للمبادئ العلمانية هو فقط يعتمد على الظروف، واذا كان فى مصلحتها، فسوف تقـوم الدولة بعمل صفقة مع أكثر الاسلاميين تزمتا لفرض أجـزاء من الشريعة خاصة الاجزاء التى تتضمن العقوبات الشـديدة على الجماهير فى مقابل تخلى الراديكاليين عـن أعتقـادهم بتحدى الاستبداد، هذا هو ما حدث فى باكستان فى ظل ضياء الحق والسودان فى ظل النميرى، وهذا بالتأكيد ما تنصح بـه ادارة كلينتون العسكريين الجزائريين أن يفعلوه.

ولكن الاشتراكيين لا يمكن أن يؤيـدوا الاسـلاميين أيضا، فهذا يعنى المطالبة باستبدال أحد أشـكال الاضـطهاد بشكل آخر، وأن يردوا على عنف الدولة بالتخلى عن الدفاع عن الاقليات العرقية والدينية والنساء والمثليين جنسـيا، وأن يشاركوا فى التأمر على كبش الفداء الذى يجعـل اسـتمرار الاستغلال الرأسمالى ممكنا دون اعتراض بشـرط أن يتخـذ شكلا " اسلاميا ". وسوف يعنى التخلى عن هـدف السياسـة

الاشتراكية المستقلة المبنية على تنظيم العمال فى صـراعهم لكل المقهورين والمستغلين وراءهم، لصالح حركـة تذيليـة لطوبوية البرجوازية الصغيرة التى لايمكنها أن حتى أن تنجح بشروطها الخاصة.

الاسلاميون ليسوا حلفاءنا، فهم يمثلون طبقة تحـاول السيطرة على الطبقة العاملة وبقدر نجاحها تجر العمال امـا فى اتجاه مغامرة عبثية وكارثية أو فـى أتجـاه الاستسـلام الرجعى للنظام القائم أو غالبا فى الاتجاه الاول ثـم الثـانى. ولكن هذا لايعنى أن نأخذ موقفا سلبيا رافضا للاسلاميين، فقد نموا على أساس مجموعات اجتماعية كبيرة تعانى فى ظـل المجتمع القائم، والذين يمكن تنظيم شعورهم بالتمرد لصـالح اهداف تقدمية بشرط وجود قيادة ناتجة عن ارتفاع مسـتوى الصراع العمالى. وحتى بعد هـذا الارتفـاع فـى مسـتوى الصراع بقليل يمكن أن يتأثر العديد من الافراد الذين تجذبهم الرؤى الراديكالية فى الحركة الاسلامية بالاشتراكيين بشرط أن يربط الاشتراكيين بين الاستقلال السياسى التام عن كافـة أشكال الحركة الاسلامية مع الاستعداد لانتهاز فرص جـذب



الاسلاميين الافراد الى أشكال راديكالية حقيقية من الصـراع بجانبهم.

أن الحركة الاسلامية الراديكالية مليئة بالتناقضـات، دائما ما تكون البرجوازية الصغيرة مشدودة فـى اتجـاهين، نحو التمرد الراديكالى ضد المجتمع القائم ونحـو المسـاهمة معه، ولذلك فان الحركة الاسلامية دائما تتأرجح بين الصراع من أجل تحقيقـى الاحيـاء الكامـل للمجتمـع الاسـلامى، والمساومة من أجل فرض الاصلاحات "الاسلامية " تعبر هذه التناقضات عن نفسها بالضرورة فى صراعات مريرة وغالبا ما تكون عنيفة داخل الجماعات الاسلامية وفيما بينها.ان من ينظرون الى الحركة الاسلامية على أنها جمود رجعى فريـد ينسون وجود الصراعات بـين اسـلاميين مختلفـين حـول الموقف الذى يتخذونه عندما كانت السـعودية وايـران فـى مواجهة بعضهم البعض أثناء حرب الخليج الأولى. وكانـت هناك رؤى أدت الى قطع جبهة الانقاذ الاسلامية فى الجزائر صلتها مع حلفائها السعوديين، أو بالاسلاميين فى تركيا الـى تنظيم مظاهرات مناصـرة للعـراق مـن مسـاجد يمولهـا السعوديون أثناء حرب الخليج الثانية.وهناك معارك عسكرية

شرسة تشتعل بين الجيـوش الاسـلامية المتصـارعة فـى افغانستان. واليوم يوجد جدال داخل منظمـة حمـاس بـين الفلسطينيين عما اذا كان يجب المساومة مـع بقايـا الادارة الفلسطينية بزعامة عرفات - وبالتالى بشكل غير مباشر مع اسرائيل - فى مقابل تطبيقهـا للشـريعة الاسـلامية. هـذه الخلافات حول التوجه تظهر بالضـرورة بمجـرد تعامـل الاسلام "الاصلاحى " مع الدول القائمة الندمجة فـى النظـام العالمى.لأن كل من هذه الدول فى صراع مع بعضها، وكـل منهم يتفق بطريقته الخاصة مع الامبرياليات السائدة

ومن الضرورى أن تظهر خلافات مماثلة فى كل مـرة يرتفع فيها مستوى الصراع العمالى، فمن يمولون المنظمات الاسلامية يريدون نهاية هذا الصراع، ان لم يكن تحطيمـه. وبعض الشباب الاسلامى الراديكالى سيؤيد الصراع بشـكل غريزى. وسوف يتشبث قادة المنظمات فى الوسط، يهمسون بضرورة تصديق اصحاب العمل وضرورة ضـبط الـنفس والصبر بالنسبة للعمال.

وأخيرا يدفع تطور الرأسمالية نفسه القادة الاسلاميين الى القيام بتحولات أيديولوجية فىالاوقات التى يقتربون فيها من السلطة.فيضعون القيم الاسلامية فى مواجهة القيم الغربية "ولكن معظم مايدعونه بالقيم الغربية لاتقع جذورها فى ثقافة أوروبية وهمية ما، ولكنها نشأت عن تطور الرأسمالية خلال القرنيين الماضيين.هكذا فمنذ قرن ونصف، كانـت الرؤيـة السائدة بين الطبقة الوسطى الانجليزية عن الجـنس مماثلـة بوضوح لتلك التى يدعو اليها انصار الاحياء الاسلامى اليوم (الجنس خارج الزواج حرام، ولايحق للمرأة تعريـة حتـى كعبيها، واللاشرعية وكانت وصمة عـار لايمكـن للنـاس نسيانها)، وكان للمرأة حقوق أقل فى بعض الشئون من تلك التى تمنحها لها معظم الرؤى الاسلامية اليوم (كان الميراث للابن الاكبرفقط، بينما يمنح الاسلام الابنة نصـف نصـيب الرجل، لم يكن لها حق الطلاق، بينما يمنحها الاسـلام هـذا الحق فى ظروف محدودة جدا) لم يكن مل غيـر الميـول الانجليزية شيئا ما نابعا من النفوس الغربية " الهوى " أو أى قيم "يهودية مسيحية مزعومة "ولكن تأثير التطور الرأسمالى - فحاجتها الى عمل المرأة دفعتها الى تغيير بعض المبادئ،

والاهم من ذلك، وضعت المرأة فى موقف تستطيع من خلاله المطالبة بتغيير أكثر بكثير.

لهذا السبب، حتى فى البلاد االتـى كانـت الكنيسـة الكاثولكية تتمتع بقوة هائلة فيها مثل ايرلندا وايطاليا وبولنـدا واسبانيا كان عليها أن تقبل مترددة تراجعا فـى نفوذهـا ولا تستطيع البلاد التى فيها الاسلام دين الدولة تحصين نفسها من الضغوط نحو تغيرات مماثلة برغم محاولاتها الشاقة.

يتضح ذلك من تجربة جمهورية ايران الاسـلامية، فبرغم كل الدعاوى حول الدور الاساسى للمرأة كأم وزوجة، وكل الضغوط لاخراجهم من مهن معينة مثل المحاماة، فقـد تزايدت قليلا نسسبة النساء فى قوة العمل واستمرت لتشـكل ٢٨% من موظفى الحكومة وهى نفس النسسبة فـى وقـت الثورة. [١٢٩] فى مقابل ذلك، أضطر النظام الى تغيير موقفه من منع الحمل، [١٣٠] باستخدام ٢٣% من النساء وسائل منع

---

(١٢٩) ف. موجدوم المرأة والعمل والأيديولوجيـة فـي الجمهوريـة الإسلامية.

(١٣٠) المصدر السابق، ص ٢٢٧.

الحمل، وأحيانا الى تهدئة حدته فى فرض الخمار. وبرغم أن النساء محرومات من المساواة فى الحقوق مع الرجـل فـى الطلاق وقوانين العائلة، فما زال لهن حق التصويت (وتوجد امراتين أعضاء فى البرلمان) ويذهبن الى المدارس ولهـن نصيب محدود من الاماكن فى الجامعة فى كـل المجـالات ويشجعن على دراسة الطب والتدريب العسكرى [١٣١] وكمـا يلاحظ ابراهيمان عن الخومينى:

" غالبا ما كان أتباعـه المقربـون يسـخرون مـن التقليدين لكونهم مودة قديمة واتهموهم بأنهم مهوسون بالاتباع النقى مانعين بناتهم من الذهاب للمدرسة، ويصـرون علـى ارتداء بناتهم الصغار للخمار حتى فى عدم وجـود رجـال ويستنكرون الميول العقلية مثـل الادب والموسـيقى ولعـب الشطرنج، والاسوأ من ذلك يرفضون الاستفادة من الصحف والراديو والتليفزيون." [١٣٢]

([١٣١]) المصدر السابق.

([١٣٢]) أ. أبراهامين، الخومينية ، المصدر السابق، ص ١٦.

لاشئ من ذلـك جـدير بالدهشـة، فمـن يـديرون الرأسمالية الايرانية ودولتها لا يستطيعون التخلى عـن قـوة عمل المرأة فى قطاعات هامة من الاقتصاد. وكذلك بـدأت تلك القطاعات من البرجوازية الصغيرة الذين يشكلون العمود الفقرى فى الحزب الجمهورى الاسلامى فى ارسال بناتها الى الجامعة والبحث عن عمل منـذ السـبعينات تحديـدا لانهـا احتاجت الى الرواتب الاضافية لزيادة دخل العائلـة وزيـادة فرص الزواج لبناتهم، ولم يكونوا فى الثمانينيات على استعداد لالغاء ذلك لمجرد الاخلاص للتعليم الدينية.

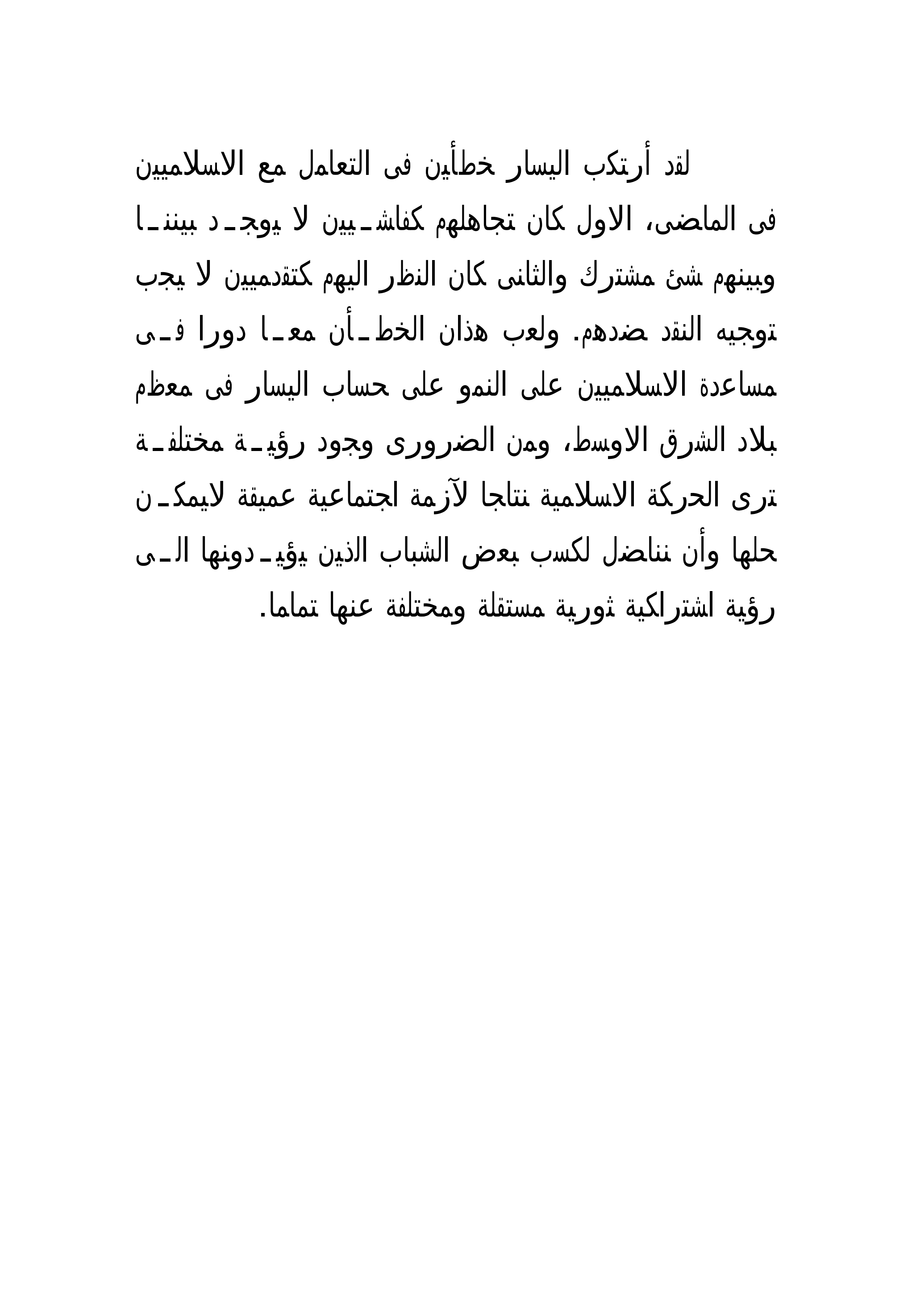
لاتستطيع اى الايديولوجية الاسلامية تجميد التطـور الاقتصادى وبالتالى التطور الاجتماعى اكثر مما تستيطيع أى أيديولوجية أخرى. ولذلك فمرة بعد مرة ستظهر التـوترات العنيفة داخلها وتعبر عـن نفسـها مـن خـلال منازعـات أيديولوجية عنيفة بين انصارها. والشباب الاسـلامى عـادة ذكى ويهتم بمنتجات المجتمع الحديث.فهم يقـرأون الكتـب والصحف ويشاهدون التلفزيـون، وبالتـالى يعرفـون كـل الانقسامات والصدامات داخل حركاتهم الخاصة. وبرغم أنهم يصطفون بقوة فى مواجهة " العلمانيين " سواء مـن اليسـار

أوالبرجوازية، سوف يجادلون بعضـهم الـبعض بعنـف - بالضبط مثل فعل انصار الروس وانصار الصين من عـالم الحركات الستالينية المتحجر منذ ثلاثين عاما. وهذا الجـدال سوف يبدأ فى زرع شكوك خفية فى اذهان بعضـهم علـى الاقل. يستطيع الاشتراكيون الاستفادة من هـذه التاقضـات لدفع بعض الاسلاميين الاكثر راديكالية الى مراجعة انتمائهم للافكار والمنظمات الاسلامية - ولكـن فقـط اذا اسـتطعنا تأسيس منظمة مستقلة خاصة بنا، والتى لاتتذيل الاسـلاميين أو الدولة.

سوف نجد انفسنا فى بعض القضايا فى نفس الجانب مع الاسلاميين ضد الدولة والامبريالية. كان ذلك مثلا فى عـدد من البلاد أثناء حرب الخليج الثانية. ويجب أن يكون صحيحا فى بلاد مثل فرنسا وبريطانيا عندما نكون فى مواجهة التميز العنصرى، وعندما يكون الاسلاميون فى المعارضـة، فـأن شعارنا يجب أن يكون "مع الاسلاميين أحيانا، ودائمـا ضـد الدولة " ولكن حتى فى ذلك الوقـت، تسـتمر معارضـتنا للاسلاميين حول قضايا أساسية. فنحن مع الحق فى نقد الدين كما أننا مع الحق فى ممارسته، ونحن مع حق عدم ارتـداء

الحجاب كما أننا مع حق الشابات فى البلاد العنصرية مثل فرنسا فى ارتدائه اذا رغبن فى ذلك، ونحن ضد التميز الذى تمارسه المؤسسات الكبيرة فى بلاد مثل الجزائر ضد من يتحدثون العربية، ولكننا ايضا ضد التمييز ضد البربر وتلك القطاعات من العمال وفقراء الطبقة الوسطى الذين تربوا على التحدث بالفرنسية. والاهم من ذلك، نحن ضد أى اجراء يضع قطاعا من المقهورين والمستغلين فى مواجهة قطاع أخر على اساس أصول دينية أو عرقية. ويعنى ذلك أننا كما ندافع عن الاسلاميين ضد الدولة سوف ندافع أيضا عن اضطهاد النساء والبربر والاقباط والمثليين جنسيا ضد بعض الاسلاميين.

وعندما نجد أنفسا فى نفس الجانب مع الاسلاميين، فأن جزءا من مهمتنا الجدال الشديد معهم وتحديهم ليس فقط فى موقف منظماتهم من المرأة والاقليات ولكن أيضا عن المسألة الجوهرية ما اذا كان المطلوب هو التصدق من الاغنياء أو الاطاحة بالعلاقات الطبقية القائمة.



لقد أرتكب اليسار خطأين فى التعامل مع الاسلاميين فى الماضى، الاول كان تجاهلهم كفاشـيين لا يوجـد بيننـا وبينهم شئ مشترك والثانى كان النظر اليهم كتقدميين لا يجب توجيه النقد ضدهم. ولعب هذان الخطـأن معـا دورا فـى مساعدة الاسلاميين على النمو على حساب اليسار فى معظم بلاد الشرق الاوسط، ومن الضرورى وجود رؤيـة مختلفـة ترى الحركة الاسلامية نتاجا لآزمة اجتماعية عميقة لايمكـن حلها وأن نناضل لكسب بعض الشباب الذين يؤيـدونها الـى رؤية اشتراكية ثورية مستقلة ومختلفة عنها تماما.